السبت 25 تشرين الثاني 2023
العدد 5070 السنة الثامنة عشرة
Samedi 25 Novembre 2023 nº 5070 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

التاريخ يدور
في فلسطين
حتى عودة الأرض

صورة اليوم التالي

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

استبشار في فلسطين وسخط في إسرائيل

الهدنة تؤرّق العدوّ: بحثاً عن جولة أخرى

(أ ف ب)

أكثر ما كان يشغل بال قادة العدو حيال الهدنة التي بدأ سريانها، أمس، هو منع مظاهر الاحتفال الفلسطيني بإطلاق سراح مجموعة أولى من الأطفال الأسرى والنساء الأسيرات، بقوّة المقاومة. ذلك أن الاحتفال يُعدّ إحدى علائم الانتصار الذي تردّد صداه في كلّ أنحاء العالم،

> **عشرات آلاف الأردنيين تظاهروا في عمّان تلبية لنداء «أبو عبيدة»، وتل أبيب غاضبة من إسبانيا وبلجيكا**

أثناء متابعته وقائع اليوم الأول من أيام الهدنة الأربعة، والذي شهد عودة الفلسطينيين إلى بيوتهم، ولو المدمّرة. وفي المقابل، كان كلّ ما في إسرائيل يدلّ على الهزيمة، وعلى غضب كامن لدى الجمهور من الفشل، ما يؤذن بانفجار قريب في وجه صنّاع القرار الذين يحمّلهم الإسرائيليون مسؤولية هذا الفشل، على رغم محاولة هؤلاء تقديم إطلاق 13 أسيراً إسرائيلياً من الأطفال والنساء وكبيرات السن، على أنه مكسب ناجم عن الحملة العسكرية التي لم تحقّق أيّ هدف من الأهداف التي رفعها قادة العدو في بدايتها. وكأن أبرز مظاهر تلك الهزيمة، هو كشف جيش الاحتلال عن حجم الفرار من الخدمة في الجيش خوفاً من الحرب، والذي وصل إلى ألفَي جندي، وإعلانه تشديد العقوبات ضد الفارّين لتشمل فترات سجن أطول.

ولم يكن الاستياء الإسرائيلي من الصفقة خافياً، حتى على مستوى صنّاع القرار الذين وافقوا عليها؛ إذ نقلت محطّة «سي أن أن» عن مسؤول إسرائيلي قوله إن رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، ما كان ليوافق على الصفقة بالصيغة التي مضت بها لولا أن ضغط عليه الرئيس الأميركي جو بايدن. وفي مؤشّر آخر، بدأت إسرائيل، وفق ما أعلن وزير حربها، يوآف غالانت، بالتخطيط للجولة المقبلة من الحرب على غزة، والتي قال إنها ستستمرّ شهرَين على الأقل. لكنّ السؤال الأساسي الذي طرحته وسائل الإعلام الإسرائيلية، هو ما سيكون عليه موقف بايدن، حينما تنتهي مدّة الهدنة بأيامها الأربعة الأساسية، أو الممدّدة إذا حصل التمديد، ويحين موعد استئناف العدوان الإسرائيلي، في ضوء الرغبة الشديدة التي أظهرها الأميركيون في التوصّل إلى الهدنة، نتيجة الضغط العالمي الذي رتّبته عليهم تغطيتهم الكاملة للعدوان، بحيث صار كثيرون في العالم يتحدّثون عن الإدارة الأميركية بوصفها المدير الفعلي لهذه الحرب؟ ويُضاف إلى ذلك، أن أيام الهدنة التي سيتم خلالها إطلاق المزيد من الأسرى الفلسطينيين والإسرائيليين بوتيرة مماثلة لليوم الأول، تمثّل فرصة للمقاومة الفلسطينية لإعادة تنظيم نفسها، وهي التي لم يظهر عليها الوهن حتى اليوم الأخير ما قبل دخول الهدنة حيّز التنفيذ.

(أ ف ب)

وإذ أظهرت عودة الفلسطينيين إلى مناطقهم وأحيائهم ومخيماتهم لتفقّد منازلهم والحصول على المساعدات الإنسانية التي وصلت عشرات الشاحنات منها إلى القطاع المحاصر، حجم الدمار الهائل الذي لم يكن ممكناً تقديره في وسط المعركة، فإن ذلك ساهم في إذكاء الغضب العربي والعالمي، من مستوى الوحشية التي قصفت بها آلة العدو العسكرية القطاع. فهذا الدمار، إضافة إلى العدد الكبير من الشهداء المدنيين، أظهرا جزءاً آخر مقلقاً بالنسبة إلى إسرائيل من الخسارة، تمثّل في ارتفاع غير مسبوق في إدانة الهمجية الإسرائيلية على المستوى العالمي، واستحكام العداء لدولة الاحتلال على المستوى العربي. في الجانب الأول، صارت إسرائيل تجهد للعثور على مؤيّدين من دون أن تجد الكثير منهم، على رغم التهويل والتلويح بالعقوبات على المستويات الفردية والجماعية. كما كان مثيراً للسخط بدء التفلّت الأوروبي حتى على المستوى الحكومي من القبضة الإسرائيلية، وفق ما جلّاه المؤتمر الصحافي الذي عقده رئيسا وزراء إسبانيا، بيدرو سانشيز، وبلجيكا، ألكسندر دو كرو، عند معبر رفح بين مصر والقطاع، حيث أعلن الأول أن بلاده قد تعترف بالدولة الفلسطينية حتى لو لم يفعل الاتحاد الأوروبي ذلك، وهو ما دفع بوزارة خارجية العدو إلى استدعاء سفيرَي البلدين في تل أبيب للاحتجاج على تلك التصريحات وعلى موقف الدولتَين الذي تميّز منذ البداية بإدانة كاملة للعدوان.

أمّا على الجانب العربي، فكانت تظاهرة عمّان كافية لإظهار المدى الذي وصل إليه الغليان في الشارع العربي نتيجة العدوان؛ إذ شارك في التظاهرة عشرات الآلاف من الأردنيين الذين أعلنوا أنهم خرجوا تلبية لنداء الناطق باسم «كتائب القسام»، «أبو عبيدة»، الذي طلب منهم التحرّك في كلمته أول من أمس. وحتى على المستوى الرسمي العربي سعت دول عربية إلى استلحاق نفسها، إذ أعلن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي أن معبر رفح لن يُغلق، علماً أن فتح المعبر مثّل مطلباً شعبياً فلسطينياً وعربياً، كان الرئيس المصري قد امتنع عن تلبيته خلال الحرب. كما سارعت دول أخرى، منها السعودية، للإعلان عن وصول طائرات مساعدات إلى مطار العريش تمهيداً لإدخالها إلى غزة. ويُذكر هنا أن الإعلام الإسرائيلي كان قد أكّد أن الرياض قادت سعياً شاركت فيه عواصم عربية أخرى، لمنع اتخاذ خمسة إجراءات قاسية - من بينها استخدام سلاح النفط - ضدّ تل أبيب في القمة العربية والإسلامية التي انعقدت في العاصمة السعودية في الحادي عشر من تشرين الثاني الجاري، لإجبارها على وقف العدوان على غزة.

وبحلول ساعات المساء الأولى كانت إسرائيل قد تسلّمت 13 أسيراً هم أربعة أطفال وست مسنّات وأربع فتيات وصبي، أفرجت عنهم حركة «حماس»، التي أطلقت كذلك سراح 11 عاملاً تايلندياً وفيليبيني واحد، بينما أفرج العدو من سجن عوفر عن 39 أسيراً فلسطينياً من الأطفال والنساء. وفي مظهر آخر من مظاهر الانتقام الإسرائيلي، عمدت قوات الاحتلال إلى مداهمة منازل عدد من الأسرى المفرَج عنهم، بتعليمات مباشرة من وزير «الأمن القومي» الإسرائيلي المتطرّف، إيتمار بن غفير، الذي طلب منع احتفال الفلسطينيين بالمفرَج عنهم.

(الأخبار)

وثائق رسمية لوزارة الصحة الإسرائيلية

9038 إصابة منذ بدء العدوان

لم يمر وقت طويل على بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، حتى أعلن العدو أنه في حالة حرب، معلناً حالة الطوارئ العامة في البلاد، ومنح قيادة جبهته الداخلية صلاحيات كبيرة في معالجة ملفات كثيرة. كما منح السلطات الأمنية صلاحيات كبيرة في ملاحقة الأصوات المنتقدة أو حتى الداعية إلى مناقشة ما يجري. لكنّ الناتج الأبرز لإجراءات العدو تمثّل في رقابة غير مسبوقة على وسائل الإعلام، بحيث منع الصحافيون من الكشف عن أي معلومات يجد العدو أنها تضر بـ«الأمن القومي»، وهو أمر اشتمل إلى جانب التغطية الميدانية للمعارك، على ملف أكثر حساسية، يتعلق بملف الخسائر البشرية في صفوف جنود جيش الاحتلال ومستوطنيه، سواء الذين سقطوا خلال المواجهات العسكرية في غزة والضفة الغربية وشمال فلسطين المحتلة، أو الذين سقطوا في يوم 7 أكتوبر نفسه. ومنع العدو الإعلاميين وحتى اللجان المعنية بحقوق الإنسان من متابعة كل ما له صلة بهذا الملف.

وقال صحافيون أجانب يتواجدون في فلسطين المحتلة، إن الرقابة تمنع عنهم نقل أي معطيات عن الخسائر البشرية أو عن الأهداف التي تطاولها صواريخ المقاومة. وأفاد هؤلاء، بأن إدارات المرافق الصحية في الكيان، منعت بدورها من الإجابة على أسئلة الصحافيين، وطلب إليها عدم الكشف عن أرقام الإصابات ونوعيتها، وخصوصاً منع كشف أي رقم عن القتلى الذين يسقطون في المعارك يومياً. مع العلم، أنه ظهر إلى العلن فيديو لمدير إحدى المقابر العسكرية، يقول فيه إنه يدفن جندياً كل ساعة.

لكن أمكن لجهات معنية، الوصول إلى بيانات المستشفيات والمرافق الصحية للعدو، وتمّ جمع البيانات الخاصة بالإصابات ونوعيتها، وتحديد مكان حصولها، وقد حصلت «الأخبار» على بعض التفاصيل حول هذا الملف.

وأشارت البيانات الموجودة في إدارات رسمية تخصّ وزارة الصحة في كيان الاحتلال، إلى أنه وحتى الساعة الثامنة إلا خمس دقائق من صباح 23 تشرين الثاني الجاري، تم إحصاء وجود 9038 إصابة على كامل مساحة الكيان المحتل، وتشمل القتلى والجرحى على اختلاف أنواع الإصابات.

وتورد «الأخبار» جدولاً مفصّلاً بالإصابات حسب المستشفيات، كما تعرض جانباً من الإصابات بحسب المستوطنات وفق الآتي:

إشكلون (862)، تل أبيب-حيفا (471)، القدس (335)، بئر السبع (297)، راشون لتسيون (256)، أشدود (235)، روحوفوت (208)، حولون (208)، بيتح تكفا (199)، رمات غان (154)، نحانيا (153)، أشكول (142)، بيت يم (141)، سديروت (130)، مطا بنيمين (118)، حيفا (110)، دعين-ميكافيم-روعو (102)، هتاتسيقوت (97)، رعنانا (97)، هرتسليا (88)، شومرون (85)، خوف أشكلون (77)، يفنا (71)، مطا يهودا (69)، كريات غات (69)، رام الله (68)، كفار سابا (67)، رهط (65)، خديرا (63)، نهاريا (63)، أوفكيم (62)، شاعر هنغيف (61)، اللد (60)، غفعتيم (60)، هود هشارون (57)، روش هعين (55)، عمق يزرائيل (55)، عمق حفر (55)، نس تسيون (54)، إيلات (52)، أور يهودا (52)، كريات شمونة (51)، ديمونا (50)، كرميئيل (47)، غوش عتسيون (46)، برداس حنا-باركور (41)، جنوب هشارون (41)، بيئر طوفيا (39)، معلي أودميم (39)، طبريا (39)، صفد (39)، غدرا (38)، يهود (38)، كريات اتا (36)، كريات أونو (36)، كريات بياليك (35)، كفار يونا (34)، عفولا (33)، لفيش (33)، ليف هشارون (33)، الجولان (32)، حفل موديعين (32)، الجليل الأعلى (32)، سدوت النقب (32)، مطا أشر (31)، حضوف هكرمل (31)، عن يفنا (31)، غيرز (31)، مسغاف (30)، شوهم (30)، مزكريت بيتيا (29)، أفرات (28)، معلوت ترشيحا (28)، الجليل الأدنى (27)، رمات هشارون (27)، مبشرت تيسون (27)، يوكنعام عيليت (25)، كريات ملاخي (25)، أريئيل (24)، غفعات شموئيل (24)، غني تغفا (24)، بني براك (23)، مروم هغليل (23)، هار حفرون (23)، كريات موتساكين (23)، كاديما-تسورن (23)، عكا (22)، يركا (22)، غور الأردن (21)، جبال حرمون (21)، كريات عكارون (21)، نشر (21)، شافير (20)، مرحفيم (20)، عيمك همعيئوت (20)، بئر يعقوب (20)، إيلعاد (19)، كريات طفعون (19)، منشي (18)، غلبوع (18)، شلومي (18)، نوف هغليل (17)، نيامين-غفعات عدى (17)، سدوت دان (17)، ناحل شورك (17)، بيت شان (16)، برنر (16)، كارني شومرون (16)، كوكاغ يائير (16)، ميتار (16)، مغار (16)، أورنيت (16)، عرب الأردن-البدو (15)، معلي يوسف (15)، بني عين ش (15)، حورا (15)، طارت كرمل (15)، كادوميم (15)، عيرد (15).

يشار إلى أن هناك أرقاماً إضافية تخصّ مستوطنات وبلدات من مستعمرات العدو لم يتم التدقيق فيها بشكل تام.

(الأخبار)

المنطقة	المستشفى	العدد
الجنوب	Brazilian	2319
	Soroka	1707
	Kaplan	575
	Asuta Ashdod	338
	Yoseftal	45
حيفا ومنطقة الشمال	Ziv Safed	740
	Nahariya	644
	Rambam	96
	Hillel Yaffe	52
	Carmel	16
	The Central One in the Valley	11
	Mr. North (Puria)	9
	Bnei Zion	2
الوسط وتل أبيب	Sheba	452
	Wolfson	322
	Soraski	312
	Dill	308
	Rabin K. Billinson	248
	Meir	210
	Laniado	66
	Rabin K. The Sharon	59
	The Eyes of Salvation	6
	Schneider	1
القدس	Shaare Zedek	276
	Hadassah Ein Kerem	180
	Hadassah Mount Scopus	44
المجموع		9038

طوفان الأقصى

التوحّش الإسرائيلي لا يمنع الفرح

فلسطين تستقبل أسراها: كلّنا مقاومة

رام الله - **أحمد العبد**

طوفان بشري كان يَنتظر تلك اللحظة التي يصل فيها الأطفال الأسرى والنساء الأسيرات إلى بلدة بيتونيا قرب رام الله، لعناقهم ولبكاء كثيراً، في لحظة الحرّية الأولى التي انتزعتها المقاومة انتزاعاً من فم الغول. والغول الإسرائيلي، الذي حاول، حتى اللحظة الأخيرة، التغيّص على الأسرى وعائلاتهم،

> **الرسالة التي سعى جميع الأسرى إلى إيصالها، هي شكر المقاومة، التي أوفت بوعدها، ولم تتخلّ عنهم**

بتأخير الإفراج عنهم حتى تعمّ العتمة، وقبلها الاعتداء عليهم أثناء نقلهم بالحافلات - حتى إن أحد الأطفال أصيب بكسر في يده اضطرّت الطواقم الطبية على إثره لنقله إلى المستشفى، فيما نُقلت الأسيرة فاطمة شاهين إلى مجمّع فلسطين الطبي لإجراء بعض الفحوصات بعد وعكة صحية -، لم ينجح في ذلك؛ إذ كانت الحشود الجماهيرية في استقبالهم. وكانت قوات الاحتلال قمعت عائلات الأسرى والمواطنين الذين احتشدوا أمام سجن «عوفر» غرب رام الله، بإطلاق قنابل الغاز والرصاص الحيّ والمطاطي صوبهم، ما أدّى إلى إصابة طفلَين وشاب ومصوّر صحافي، نُقلوا على إثرها إلى المستشفى.

وبقدر ما كانت فرحة الحرية واضحة، فهي أيضاً بدت منقوصة وممزوجة بالوجع؛ إذ إن الرسالة التي سعى جميع الأسرى إلى إيصالها، هي شكر المقاومة، التي أوفت بوعدها وعهدها، ولم تتخلّ عنهم، بل إنها فرضت حريتهم على العدو فرضاً، والتأكيد في الوقت نفسه أنه لا فرحة مكتملة في القلب طالما ظلّ أسير واحد في السجون. قرب رام الله، لعناقهم ولبكاء كثيراً، في لحظة الحرّية الأولى التي انتزعتها المقاومة انتزاعاً من فم الغول. والغول الإسرائيلي، الذي حاول، حتى اللحظة الأخيرة، التغيّص على الأسرى وعائلاتهم،

وتحديداً منذ بدء العدوان على غزة، وحكيَ عن أوضاع الأسيرات المتبقيات في السجون، وحلمهنّ الدائم بنَيْل الحرّية. وكانت سلطات الاحتلال قد أفرجت مرغمةً، أمس، عن 39 أسيراً فلسطينياً، بينهم 24 امرأة و15 طفلاً، ضمن الدفعة الأولى من صفقة التبادل مع المقاومة، التي أفرجت بدورها عن 24 أسيراً لديها، 13 منهم إسرائيليون، والبقية من العمال التايلنديين. ووصلت حافلة ومركبات تابعة للصليب الأحمر تحمل أغلب المعتقلين المُفرج عنهم من سجن «عوفر» إلى بلدية بيتونيا غرب رام الله، في حين جرى الإفراج عن الأسيرات المقدسيّات، وعددهن 6، من معتقل «المسكوبية» في القدس المحتلّة، حيث كانت عائلاتهنّ في استقبالهنّ.

إلّا أن مظاهر الاحتفال غابت في القدس، وسط انتشار وتأهّب كبيرَيْن لقوات الاحتلال في مختلف أحياء المدينة. وداهمت تلك القوات منازل الأسيرات في بلدتَي جبل المكبر وبيت حنينا، واشترطت على عائلاتهن تحت التهديد، عدم الاحتفال أو تنظيم استقبال لبناتهنّ لدى الإفراج عنهنّ، كما أبقت على عناصرها أمام منازل المحرَرات أيضاً، اقتحم جنود العدو منزل الأسيرة أماني الحشيم قبل الإفراج عنها، وأطلقوا الرصاص وقنابل الغاز السام المُسيل للدموع في أثناء ذلك. كما اقتحموا منزل عائلة الأسيرة زينة عبده، وحذّروا العائلة من إجراء أيّ لقاء صحافي، فيما هدّدوا عائلة الأسيرة فاطمة شاهين في بيت لحم بتهديدات مماثلة. وكانت قوات الاحتلال استدعت، منذ ساعات الصباح، أفراداً من عائلات الأسيرات المقدسيات إلى غرف التحقيق في المسكوبية، حيث صودرت هواتفهم، وجرى تحذيرهم من مغبّة الاحتفال والإدلاء بالتصريحات الإعلامية.

أما في بيتونيا، فقد صدحت أصوات الأسيرات ومستقبليهن بتأييد المقاومة. وفي هذا الإطار، برزت تصريحات إيمان نافع، زوجة الأسير نائل البرغوثي، وهو عميد الأسرى الفلسطينيين، التي قالت أثناء استقبال الأسيرات: «جئنا اليوم لنقول شكراً للمقاومة التي قدّمت هذه التضحيات الكبيرة». وأضافت أن نائل الذي قضى 44 عاماً في السجن، وأُفرج عنه في صفقة «وفاء الأحرار»، وأعاد الاحتلال اعتقاله، يعاني من ظروف صعبة جدّاً، كما بقيّة الأسرى والأسيرات، متابعةً «أننا جئنا اليوم لنقول إن المطلوب هو تحقيق وقف إطلاق نار دائم في غزة، وانتزاع الحرية لكلّ فلسطينيّ من الاحتلال». والجدير ذكره، هنا، أن الأسيرة المقدسية، مرح باكير، كانت من أوليات الأسيرات المُفرَج عنهنّ في القدس المحتلة، حيث اعتبرت، في تصريحات مقتضَبة، أنه «من الصعب جداً الشعور بالحرية مقابل دماء الشهداء في غزة، وفي ظلّ التضحيات الكبيرة لأهلي في القطاع»، وذلك قبل أن تقتحم قوات الاحتلال الإسرائيلي منزلها.

من جهتها، حيّت الأسيرة المحرَّرة، فاطمة شاهين، التي جرى نقلها إلى المستشفى، «أهل غزة الذين صبروا وقدّموا الدماء من أجل حرية جميع الأسرى، وكلّنا ثقة بالمقاومة التي تعمل على تحرير كامل الأسرى وتبييض السجون»، فيما قالت الأسيرة فلسطين نجم: «الحمد لله، شعور لا يوصف، وفرحتنا منقوصة لتضحيات غزة وللأسرى المحكومين بالمؤبّدات، وبإذن الله كتائب القسام ستبيّض كلّ السجون».

وأكّدت الأسيرة المحرَّرة، حنان البرغوثي (أم عناد)، التي جرى اعتقالها خلال العدوان على غزة، وهي شقيقة القائدين الأسير نائل البرغوثي والراحل عمر البرغوثي (أبو عاصف)، بدورها، أن «لقاءنا في الجنة يا أطفال غزة. الله يحمّي المقاومة. علّمتوا على الاحتلال يا أهل غزة»، مضيفة: «إحنا رافعين راسنا بالمقاومة وباهل غزة، رؤوسنا عالية بفضل الله والقسام ومحمد الضيف».

كذلك، أكّدت الأسيرة المحرَّرة، سارة العبد الله، من مدينة نابلس، والتي أدّت سجدة الشكر لحظة الإفراج عنها، أنها «فخورة بحماس، وبحب غزة كثير، وفخورة بمحمد الضيف والسنوار، لأنهم الوحيدين اللي وقفوا معنا، شكراً لكم». وعبّرت الأسيرة المُفرج عنها، أسيل منير، من جهتها، عن فرحتها بالحرية، بالقول: «نحن أقوى منهم»، مستعرضةً أوضاع الأسيرات في سجون الاحتلال، والتي باتت سيئة جدّاً، في ظلّ حالة القمع والتنكيل الواسعة بحقّهن منذ السابع من أكتوبر. أمّا الأسيرة رغد الفني فرات، في كلمة لها، أن «الفرحة منقوصة، لأن خلفنا في السجون أسيرات كثيرات يعشن في ظروف صعبة للغاية، كما أن تحررنا كان لقاء دم غزير، ولذلك مشاعر الأسيرات مختلطة»، متوجّهةً إلى المقاومة وقائدها بالقول: «صدق الوعد يا محمد ضيف»؛ وهو الهتاف الذي كان يردّده مئات الشبان الذين استقبلوا الأسرى، إلى جانب هتافَي: «شكراً شكراً يا غزة»، و«الشعب يريد كتائب القسام»، في ما بدا بمثابة استفتاء شعبي لصالح المقاومة.

ومع انطواء اليوم الأول من الهدنة وعملية التبادل، تتّجه الأنظار، اليوم، إلى القائمة الثانية من الأسرى المنويّ الإفراج عنهم، وتحديداً الأسيرة إسراء الجعابيص، التي يبدو خروجها استثنائياً نظراً إلى حالتها الصحية الخاصة.

الأسيرة المقدسية، مرح باكير، كانت من أولى الأسيرات المفرج عنهنّ في القدس المحتلة (أ ف ب)

غزة تفتح عينَيها: خراب كبير... ووعي أكبر

غزة - **يوسف فارس**

لم يكد وقف إطلاق النار يدخل حيّز التنفيذ، وتمرّ ثلاثون دقيقة على انطلاقه عند السابعة من صباح أمس، حتى اعترت الصدمة وجوه الآلاف من الأهالي، الذين هالهم حجم الخراب الذي لم يشهدوا مثيلاً له منذ 75 عاماً. هذه هي الحال مثلاً في مخيم جباليا الذي اكتسى بالرماد، وأضحت منازله

> **أكثر من عشر ساعات من التجوّل في أحياء شمال ومدينة غزة، والدمار على مدّ البصر**

ومربّعاته السكنية قبوراً تضمّ المئات من الشهداء. حتى قبل ليلة وقف إطلاق النار، كان للمخيم وجهٌ آخر، لكن في تلك الليلة تحديداً، استبقظ أهالي مناطق الفالوجا والسكة وتل الزعتر ومشروع بيت لاهيا، على وقع تدمير الطائرات الحربية الإسرائيلية أكثر من مئة بيت هناك. على أن ما يهوّن المشهد قليلاً أن ثمّة مساحات عمرانية لم يطاولها القصف، بين كلّ مربّع سكني مقصوف وآخر.

وفيما تتبدّى الكارثة الكبرى في تدمير مدن سكنية صغيرة وأحياء كاملة، ظلّت تلك المناطق طوال مدّة الحرب، مخلاة من الأهالي، الذين سمعوا طوال أكثر من 45 يوماً، حكايات لم يحسنوا رسم صورة ذهنية لها، عن حجم القصف الذي تعرّضت له مناطقهم، قبل أن يعاينوا الخراب الرهيب بأنفسهم. مدينة الشيخ زايد شرقي مدينة بيت لاهيا، والتي تتميّز ببناتها العمراني الحديث، وافتُتحت في عام 2004، أضحت مدينة أشباح كبرى. أكثر من ثمانين برجاً سكنياً وسوقاً تجارياً، فضلاً عن مسجد المدينة الذي يشكّل التحفة العمرانية الأجمل في شمال القطاع، دُمّرت تماماً، فيما لم يسلم برج سكني واحد من التخريب المدروس. أمّا المباني التي نجت من قنابل الـ«إف 16»، فخرّبتها قذائف المدفعية، بينما المسجد جرى تفخيخ أعمدته الكبيرة وتفجيرها. وكذلك، الشوارع والنظام الكهربائي وشبكة المياه والصرف الصحي... كلّ شيء تمّ تدميره تماماً.

أيضاً، تعرّضت ثلاث مدن أخرى، هي العودة غربي مدينة بيت حانون، والندى غربي عزبة بيت حانون، وأبراج الإسراء شمال بيت لاهيا، للتدمير نفسه، حيث لم تسلم أيّ وحدة سكنية فيها من التخريب المنهج والممهول. والمشهد ذاته يتكرّر في أحياء السكة وشعشاعة ومدينة بيت حانون ومشروع بيت لاهيا والصفطاوي والجلاء والشيخ رضوان والنصر والشاطئ. أمّا في مستشفى «الإندونيسي» الذي داهمته الدبابات الإسرائيلية في تمام الساعة الثانية من فجر ليلة الخميس - الجمعة، فليس ثمّة ما يمكن أن تراه، سوى جثامين الشهداء الملقاة في مناطق المستشفى كافة. يروي الدكتور منير البرش الذي خرج من مستشفى «الشفاء» عقب حصاره، إلى «الإندونيسي» حيث عايش حصاراً آخر فيه، في حديث إلى «الأخبار» تفاصيل لحظات الاقتحام الرهيبة. يقول: «بدأت الدبابات بقصف بوابات المستشفى، ثمّ أرسلوا العشرات من طائرات الدرونز المسلّحة بالرصاص، وتنقّلت تلك في باحة المستشفى وممرّاته، ثمّ داهمت الدبابات الباحة بغرض التخريب. قتلوا ثلاثة من المرضى واعتقلوا آخرين، ثمّ غادروا»، ويلفت إلى أن «أكثر من 400 بين مريض ونازح وأفراد طاقم طبي عاشوا ساعات عصيبة»، مؤكداً أنه «لا أهداف عسكرية سوى إخراج المستشفى عن الخدمة».

أكثر من عشر ساعات من التجوّل في أحياء شمال ومدينة غزة، والدمار على مدّ البصر. مقوّمات البقاء في تلك المناطق تضاءلت إلى الحدّ الأدنى. يمكنك أن تفهم سريعاً أن جيش العدوّ تحوّل إلى ما يشبه عصابات مستوطني «تدفيع الثمن» التي تنشط في أحياء الضفة الغربية. مع ذلك، وعلى الرغم من أن الغزيين كافة دفعوا ثمناً مريعاً في هذه الحرب، وأنهم سيتناقلون جيلاً بعد جيل هول ما عايشوه في تشرينَي الأول والثاني من عام 2023، إلّا أن كيّ الوعي و«التغيير الثقافي» الذين يتطلّع إليهما العدوّ في القطاع لا يبدوان متحقّقين، ولو كرهت إسرائيل هذه الحقيقة.

لم تسلم أيّ وحدة سكنية في شمال بيت لاهيا من التخريب الممنهج والممهول (أ ف ب)

من الواضح أن يد «حماس» كانت الأعلى في هذه الصفقة

إسرائيل «تكافح» لحفظ الزخم: ماذا بعد الصفقة الخاسرة؟

يحيى دبوق

يفترض كثيرون أن الحرب ستستعيد زخمها الذي كانت عليه وربّما أكثر، ما إنْ تنتهي الهدنة المؤقتة بين العدوّ وحركة «حماس» في قطاع غزة، وإنْ كان افتراض تمديدها أياماً إضافية قائماً أيضاً؛ إذ ستحرص فصائل المقاومة، من جهتها، على ذلك، عبر إطلاق سراح مزيد من الأسرى، وهو ما سبق أن قالت إسرائيل إنها لن تعارضه، ولكن في إطار معادلة: المزيد مقابل المزيد.

وبناءً على هذه الفرضية، لن يقتصر إطلاق الأسرى الإسرائيليين، ضمن الفئة المحدّدة وفقاً لصفقة التبادل، على أربع دفعات فحسب، بل يمكن أن تليها أخرى، فيما يستوجب تمديد الهدنة، ويكفل لـ«حماس» أن تتفاهم مع فصائل المقاومة الأخرى التي تحتفظ بالعشرات منهم. ووفق مسؤول إسرائيلي رفيع المستوى، فإن «لدى حماس 50 امرأة وطفلاً فقط، وربّما يمكنها الوصول إلى 20 آخرين، لكن هناك أيضاً 30 (أسيراً) إضافياً مدرجين في القائمة التي سعت إسرائيل في البداية إلى إطلاق سراحهم، وهم محتجزون لدى حركة الجهاد الإسلامي، ومنظمات فلسطينية أصغر».

وانطلاقاً من ذلك، ستكون إسرائيل أمام تحدٍّ يمثّل تهديداً لزخم عمليتها العسكرية، إذ سيكون عليها أن تقرّر في شأن مزيد من الهدن تباعاً، أو أن تستأنف القتال، الذي وصل بدوره إلى مستوى يتطلّب منها اتّخاذ قرار بالمضيّ قدماً لمواجهة مخاطر العملية البرية بمستويات أعلى، بعدما قضمت قواتها قشرة التماس الرخوة حول المناطق العمرانية التي تُعَدّ مراكز ثقل المقاومين الفلسطينيين، فيما بات عليها أن تخوض القتال مباشرة في المناطق الصلبة دفاعياً، وسط توقّعات بسقوط المزيد من القتلى والخسائر في صفوف قواتها.

ويرتبط قرار إسرائيل في هذا الشأن بجملة عوامل، يأتي في مقدّمها عجزها عن استرجاع أسرى من خلال العملية البرية التي خيضت في الأسابيع الثلاثة الأخيرة، مع ما حمّلته من هدف شبه وحيد، يتمثّل في إطلاق سراح من أمكن عبر القوّة العسكرية والضغط المباشر. إلا أن جهود إسرائيل العسكرية والاستخبارية باءت بالفشل، ما اضطرّها إلى الرضوخ للضغوط الداخلية التي قادتها إلى القبول بالصفقة، ولا سيما أن البدائل تقلّصت - إن لم تكن منتفية أصلاً -. لكن هل يرضخ صاحب القرار في تل أبيب لهذا السياق، أم يتعيّن قبل أن يعود إلى الخضوع بعد أيام إضافية من القتال؟ كلتا الفرضيّتَين قائمتان، وإن كانت الثانية أكثر ترجيحاً؛ فقادة العدوّ معنيّون بأن يُظهروا أنفسهم مستعدّين لمواصلة الحرب حتى تحقيق الأهداف

> **كان لافتاً اجتياز عدد كبير من سكان شمال غزة الخطّ الفاصل بين شمال القطاع وجنوبه في وادي غزة، وعودتهم إلى بيوتهم**

المعلنة، علماً أن مواصلة القتال بعد الهدنة، إنما هي تأجيل لاستحقاق وقف إطلاق النار، لا أكثر.

إزاء ذلك، يمكن الإشارة إلى الآتي:

أولاً، يُرجّح، كما ورد سابقاً، أن تحرص إسرائيل على استئناف عمليات القصف والتدمير وربّما أيضاً مزيد من محاولات الاقتحام لمناطق شهدت محاولات مماثلة في الأسبوعين الماضيَين، بزخم كبير، كي تثبت لجمهورها أولاً، كما لـ«حماس» وفصائل المقاومة الأخرى، أنها لم تغيّر من أهدافها شيئاً، وأنها مصمّمة على استكمال القتال حتى تحقيق ما أعلنته من غايات، وخاصة إسقاط حكم «حماس» في غزة. واستئناف الحرب بزخم، يأتي ضمن هدف جديد لم تعلنه تل أبيب بصورة مباشرة، وهو إثبات الجدية وعدم الانكفاء، وليس إنجاز الأهداف المعلنة، وهو هدف يستأهل التأمّل والمتابعة، وفيه الكثير من المعاني والدلالات.

ثانياً، من الواضح أن يد «حماس» كانت الأعلى في هذه الصفقة، إذ بدا لافتاً في سياق بلورتها أن الحركة هي التي كانت تضع الشروط، فيما بدت إسرائيل الجهة التي تمتنع عنها أو تقبلها. ومن بين الأمور اللافتة أيضاً، وقف «حماس» التفاوض غير المباشر أياماً طويلة خلال عملية مستشفى «الشفاء» الفاشلة استخبارياً.

ثالثاً، لو كان العدو قادراً، أو أنه كان على وشك، أو أن هناك نقطة زمنية واضحة لديه، لإطلاق سراح أسرى إسرائيليين عبر العملية العسكرية أو الضغط العسكري، لما كان قد لجأ أو رضخ للهدنة ولشروط حركة «حماس» فيها، على رغم أنه عمد طويلاً إلى الرهان على إمكان تحقيق شيء ما عسكرياً في الميدان، علماً أن جزءاً من أسباب تأخير الهدنة يعود إلى هذا العامل تحديداً.

رابعاً، كان لافتاً اجتياز عدد كبير من سكان شمال غزة، الخطّ الفاصل بين شمال القطاع وجنوبه في وادي غزة، وعودتهم إلى بيوتهم، وكأن موعد بدء تنفيذ الهدنة، أمس، كان موعد انطلاق مسيرات العودة إلى الشمال. وكلّ ذلك جاء على رغم تحذير العدوّ وتهديده للعائدين، بأنهم يخاطرون بحياتهم إن واصلوا مسيرهم نحو شمال القطاع.

وبالنتيجة، فإنّ كلّ ما تقدّم يُعدّ نعياً مسبقاً لرهان إسرائيلي على إمكان تهجير سكان شمال قطاع غزة نهائياً إلى جنوبه، في إطار أهداف غير معلنة تماماً للعدو؛ وهو معطى يجب التوقّف عنده طويلاً، لقراءة اليوم الذي يلي وتقديره، بطريقة مختلفة عمّا يروّج له البعض.

طوفان الأقصى

إسرائيل تصحو من «سكرة القتل»: نتنياهو (ليس) قائدنا إلى «النصر»

بيروت حمود

«لا يَصلح قادة الحرب الإسرائيلية لقيادتها»؛ تلك هي خلاصةُ «مُعلّقة» أسهب الكاتب والصحافي الإسرائيلي، بن كسبيت، فيها في سرد وقائع تثبت عدم أهلية رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، تحديداً، لإدارة الحرب. وبحسب بن كسبيت، فإن المؤتمر الصحافي الذي عقده ثلاثيّ الحرب (ليل الثلاثاء - الأربعاء)، كان بمثابة «عرض مذهل لانعدام الكفاءة في إدارة الدولة»، مع استثناء بيني غانتس الذي كان الوحيد الذي «لم يثرثر»؛ إذ «بذل جهداً حقيقياً كي لا يضلّل الجمهور بالتلفيق والأكاذيب». أمّا الاثنان الآخران «اللذان بالكاد يتحدّث أحدهما مع

> يرى يهوشواع أن لدى السنوار «مخطّطاً ممنهجاً لإيقاف العملية الهجومية الإسرائيلية بشكل كامل»

الآخر (نتنياهو وغالانت)، ويؤدي غانتس دور الوسيط بينهما، فواصلا الإدلاء بتصريحات هائجة، وتقديم الوعود الجوفاء».

في الأسابيع الأولى من الحرب، أمضى نتنياهو الوقت في «قاعة محكمة الإغلاق»؛ حيث اكتفى بالإدلاء ببيانات مُسجّلة، كلّ بضعة أيام، من دون الإجابة عن الأسئلة، وذلك أمام «أمّة منهكة ومحاصرة». وطبقاً لبن كسبيت، «لو تُرك الأمر له، لبقي كذلك»، لكن الأمر تخطّاه. «فقد رفض غانتس التعاون مع غالانت ونتنياهو، وبدا بجمع الصحافيين والإجابة عن أسئلتهم»، ومن بَعده، تشجّع غالانت، ولذلك «لم يعُد أمام نتنياهو مناص، فانضمّ إلى الثلاثي»، ليتحوّل الحديث الصحافي إلى مؤتمر يُعقد مرّة أو مرتين أسبوعياً. لكن «المؤتمر الذي عُقد هذا الأسبوع تحديداً كان خطأً»، بحسب بن كسبيت، الذي يرى أن «أيّ قيادة منطقية كانت ستفهم أن الوقت الذي يُمنع التحدّث فيه علناً، هو بالذات الوقت الذي اختار فيه الثلاثي التحدّث علناً». موضحاً أنه «عندما تكون هناك صفقة تبادل تخطف أنفاس أمّة بأكملها وتضعها على المحكّ، فمن الأفضل قبل أن تصبح الصفقة منجَزة، التزام الصمت بدلاً من الاحتفال، وخصوصاً عندما يكون هدف الطرف الآخر منها هو شراء وقت ثمين له لإصدقائه. عندها، على القيادة أن تزيد من الضغط العسكري، لتدفع برعاة الصفقة إلى التحرك لإتمامها، لا أن تتفاخر ولا أن تُقدّم الالتزامات (كما فعل نتنياهو وغالانت)».

ما تَقدّم، يحدث «عندما يفكّر رأس الدولة بنفسه وبمصيره، أكثر مما يفكّر بالمصالح الأكثر ضرورة للدولة»، وفقاً لبن كسبيت الذي يضيف أن قادة الحرب «سارعوا إلى إخبار الجمهور عن شيء لم يُتمّوه بعد... حتى إن نتنياهو قرأ بنداً مرتبطاً بالصليب الأحمر من أجل أن يثبت أن الأخير سيزور المختطفين. وبعد ساعة من ذلك، اتّضح أنه أساساً ليس هناك بند كهذا». كذلك، «تورّط» نتنياهو وغالانت في «صراع تصريحات وتوازن رهيب في التهديدات»؛ إذ إنه عندما قال غالانت إن «قادة حماس يعيشون في وقت ضائع»، سارع نتنياهو إلى الإدلاء بدلوه، على رغم أنه «لم يُسأل عن ذلك على الإطلاق، لكنه لم يكن مستعدّاً للسماح لمنافسه الكريه (غالانت) بأن يحظى بلقب بطل الأمنية»، أو أن يتصدّر العناوين». وعندئذٍ، «قال (نتنياهو) شيئاً أكثر وضوحاً: لقد أصدرتُ تعليماتي للموساد، للقضاء على جميع رؤساء حماس أينما كانوا». علماً أن رئيس «الموساد»، ديفيد برنياع، كان عندها في قطر التي تستضيف عدداً من قادة «حماس»، ليتساءل الكاتب متهكّماً ما إن كان تصريح نتنياهو «قد وصل إلى برنياع عندما كان يخنق عنق خالد مشعل، أو قبل ذلك».

ويصف بن كسبيت رئيس حركة «حماس» في غزة، يحيى السنوار، بأنه «شريك من الجحيم»، موضحاً أنه عند خوض مفاوضات معه «عليك أن تعرف أنه لا شيء ناجز إلا عندما يصبح ناجزاً بالفعل، وحتى إن حدث ذلك فهو غير نهائي». وإذ يشير إلى أن الصفقة التي وافقت عليها الحكومة في نهاية المطاف كانت هي ذاتها التي طُرحت منذ البداية (مع اختلاف طفيف وهامشي)، وعارضها نتنياهو وغالانت آنذاك بدعم من رئيس الأركان، هرتسي هليفي، انطلاقاً من افتراض مفاده بأن «الضغط المستمر على حماس من شأنه أن يحسّن شروط الصفقة»، فقد ذكّر بأن نتنياهو «معتاد على ذلك؛ إذ بعد استقالة إيهود أولمرت، ورفضه التوقيع على صفقة شاليط، كان أمام خياران حينها: إمّا رفض الصفقة أو التوقيع عليها. في البداية اعترض، وفي النهاية وافق». ويصف «الليلة (التي اعترضوا فيها على الصفقة) بأنها ليلة درامية لا مثيل لها»، حيث شمع «غانتس وايزنكوت للمرّة الأولى يصرخان، بعدما أخبرهما ببيبي أنه سيتصل ببايدن ويطلب منه 20 مختطفاً إضافياً، وبعد ذلك يعقد اجتماعاً للكابينت، لكنه لم يفِ بوعده».

ويرى بن كسبيت أن نتنياهو يعتقد أنه «كلّما تمكّن من إطالة الحرب، فسينجو منها»، وهنا «يكمن تضارب المصالح الأساسي والمرعب الذي يجد رئيس الوزراء نفسه فيه. ولهذا السبب، منذ اللحظة الأولى، قلتُ إن هذا الرجل لا يصلح لقيادة الحرب». ومن بين الأمثلة على المماطلة وإضاعة الوقت، البطء الذي يسِم المناورات البرية»؛ إذ إنه كان يفترض أن «يتحرك الجيش الإسرائيلي جنوباً منذ زمن طويل». وفي هذا الإطار، نقل عن مسؤول كبير مطّلع على نقاشات «الكابينت المصغّر» خلال الأسبوع الأخير، قوله إن «غالانت يظنّ أنه في حرب المئة عام، وهو متأكد من أن أمامه سنوات لهزيمة حماس، وهو في الواقع يدفع إلى الأمام طوال الوقت، ويسعى جاهداً لتحقيق أهدافه... لكنه لا يفهم الساعات: ساعة الساحة الدولية، ساعة الاقتصاد، و(المجتمع) المُتعب... ليس لدى غالانت الوقت الذي يحتاج إليه». لكن المشكلة «ليست غالانت»، بحسب بن كسبيت، بل «هي نتنياهو» الذي منع التحرّك جنوباً، على رغم أنه «كان علينا أن نُهاجم على الفور خان يونس، المدينة التي يتمركز فيها محمد الضيف ويحيى السنوار. هناك المخيمات المركزية، هناك رفح، وهناك شيء يمكن فعله من أجل اختصار الوقت وزيادة الضغط على حماس»، متسائلاً: «من يخدم نتنياهو بالضبط؟ يريد العثور على من يمكن إلقاء اللوم عليه (في ما حصل في السابع من أكتوبر)... كعادته دوماً».

وفي سياق متّصل، يرى المحلل العسكري لصحيفة «هآرتس»، عاموس هرئيل، أن استئناف العملية البريّة جنوب القطاع، وتحديداً في خان يونس، المدينة التي يتمركز فيها أشهر، وسيواجه صعوبات»، فإن «إدارة (الرئيس الأميركي، جو) بايدن تتحفّظ على طبيعة العمليات العسكرية المخطّط لتنفيذها في جنوب القطاع، وهي منذهلة من رفض نتنياهو القاطع للتداول بسيناريوات ما بعد الحرب»، متوقّعاً أن «يكون هناك ضغط أكبر على إسرائيل لتمتنع عن هجوم ساحق في جنوب غزة». وبحسب هرئيل، فإن «ما يراه الأميركيون مختلف كلياً عما يخطّط له الجيش الإسرائيلي؛ إذ يتوقّعون تقليص القوات الإسرائيلية في شمال القطاع، وإنشاء منطقة أمنية عازلة هناك، والسماح للجيش الإسرائيلي بتنفيذ اقتحامات موضعية في الشمال انطلاقاً منها». ويخلص إلى أنه مع مرور الوقت «قد تعبّر (الإدارة الأميركية) عن تحفّظاتها»، مضيفاً أن الإجراءات التي قد تتّخذها «لكبح» جماح حليفتها، «ستُسرّع الصدام بين بايدن ونتنياهو».

يرى هرتسي ان استئناف العملية البرية جنوب القطاع «سيستغرق أشهرا، وسيواجه صعوبات» (أ ف ب)

ويتقاطع هرئيل في تحليله مع بن كسبيت؛ إذ يعتقد أن «نتنياهو يتّجه نحو إطالة أمد الحرب، لاعتبارات سياسية داخلية»، مضيفاً أن «هدنة متواصلة تعني قلب الساعة الرملية السياسية، فيما ذلك ليس في مصلحة نتنياهو»، متابعاً أن «عائلات المختطفين والقتلى والمُخلين من بيوتهم حافظوا إلى الآن على موقف رصين، لكنهم قد يخلعون القفّازات قريباً، وذلك بموازاة احتمال نشوب عاصفة في اليمين، الذي يطالب الكثيرون فيه بعدم وقف القتال حتى إخضاع حماس، مثلما تعهّد نتنياهو وغالانت من دون معرفة كيف سينفّذان تعهّدهما». يضاف إلى ما تقدّم، القلق الأميركي المتنامي، في جزء منه، من الوضع الإنساني في القطاع «الذي تصرّ إسرائيل على الادّعاء أنه ليس في وضع يصل إلى حدّ الأزمة»، علماً أن «معظم البنى التحتية والعمارات في شمال القطاع تهدّمت (قصفت بالصواريخ من الطائرات الحربية الإسرائيلية)، وثمّة مصاعب عازياً ذلك إلى أن هذه المنطقة «تتجمّع فيها كل القدرات العسكرية لحماس والتي لم تتضرّر بعد. كما أنه نزح إلى هناك (من شمال وادي غزة) نحو مليوني مواطن، فيما تبقّى أقلّ من 80 ألف فلسطيني في شمال القطاع، يدفع الجيش الإسرائيلي إلى ترحيلهم إلى داخل مناطق إيواء في القسم الجنوبي»، مستدركاً بأنه «من غير الواضح ما إن كان هذا ممكناً». ويتطرق هرئيل، أيضاً، إلى الساعة الأميركية، مشيراً إلى أنه بالرغم من الدعم الأميركي لإسرائيل، تتزايد في الجنوب على مستوى الاحتياجات الحيوية للسكان. أمّا في المنطقة الزراعية في المواصي جنوباً، والتي يتجمّع فيها عشرات الآلاف من النازحين، فثمة مؤشّرات إلى تفشي مرض الديزنتاريا كنتيجة لمشاكل التزوّد بالمياه».

من جهته، يرى المحلّل العسكري لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، يوسي يهوشواع، أن لدى السنوار «مخطّطاً ممنهجاً لإيقاف العملية الهجومية الإسرائيلية بشكل كامل»، مبيّناً أن البند الأول في هذا المخطّط هو «صفقة صغيرة جدّاً، لكن الاحتمال الكامن فيها هو ليس انتعاش قواته فقط، وإنما سلسلة من أنشطة قد تفضي إلى إنهاء الحرب، فعلى سبيل المثال، ستدخل وسائل إعلام أجنبية، وخصوصاً أميركية، ليكشف (السنوار) أمامها صوراً لا يعرفها الجمهور الإسرائيلي أيضاً، للدمار الذي أحدثه سلاح الجو، كما أن هناك قتلى وجرحى فوق الأنقاض وتحتها. ولا شك في أن العالم سيُصدم (من جراء تلك المشاهد)». بالإضافة إلى ذلك، «فالمستشفيات الميدانية المؤقتة التي أنشئت في القطاع، والمساعدات التي ستدخل من مصر ودول أخرى، ستصعّب على الجيش الإسرائيلي تنفيذ مناورة برية واسعة، وذلك بموازاة ضغوط دولية متوقّعة لوقف إطلاق نار مطلق». وبناءً عليه، يعتقد يهوشواع أن «العملية العسكرية المزمع تنفيذها في خان يونس، والتي من دونها سيكون التسبّب بانهيار حكم حماس» فارغاً من مضمونه، يحيط بها خطر ملموس»، مستنتجاً أن «الحكومة الإسرائيلية خاطرت بموافقتها على صفقة تبادل أسرى صغيرة؛ إذ حتى لو صدرت مصادقة أميركية على استمرار العملية العسكرية، فإنها ستنتهي باحتلال الأحياء الشرقية في شمال القطاع، ومناطق أخرى، لكن الجنوب سيستحيل حصناً لقادة حماس الذين فزوا من الشمال».

سيناريوات ما بعد «بيبي»: أيام صعبة تنتظر «الملك» المهزوم

رام الله - أحمد العبد

يبدو أن مصير رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، السياسي والشخصي، حُسِمَ في السابع من أكتوبر، كونه في مقدّمة مَن يتحمّلون مسؤولية الفشل السياسي والأمني والاستخباري الذي سُجّل آنذاك. كما يبدو أن العدوان الذي تشنّه دولة الاحتلال بقيادته على قطاع غزة، منذ «طوفان الأقصى»، سيجعل من ذلك المصير واقعاً لا مفرّ منها، على اعتبار أنه لا يفعل إلا أنه يرسّخ فشل الرجل. ولدى تحليل دوافع العدوان بعد 50 يوماً من الفشل الذريع، فإن اثنين لا يختلفان على أن أحدها، محاولة نتنياهو إنقاذ نفسه ممّا ينتظره يوم تسكت المدافع، وتأجيل هذا الحساب ما أمكن، عبر اللجوء إلى مزيد من القتل في قطاع غزة. ونتنياهو نفسه الذي دفع إسرائيل نحو سلسلة من الانتخابات، خلال العامَين الماضيَين، هرباً من ملاحقته في قضايا فساد، بات مدركاً، اليوم، أنه بمجرّد انتهاء العدوان على القطاع، سيبدأ سقوطه السريع، وهو ما أظهرته جميع استطلاعات الرأي التي أُجريت في إسرائيل، منذ السابع من أكتوبر، وآخرها استطلاع نشرت صحيفة «معاريف» نتائجه يوم أمس.

وأظهر الاستطلاع المذكور، تزايُد شعبية رئيس كتلة «المعسكر الوطني»، وعضو «كابينت» الحرب، بيني غانتس، وتفوّقه بشكل كبير على حزب «الليكود» بزعامة نتنياهو. ولعلّ مفاجأة الاستطلاع تمثّلت في سقوط حزب «الصهيونية الدينية» اليميني المتطرّف والعنصري، برئاسة وزير المالية، بتسلئيل سموتريتش، تحت نسبة الحسم. وفي حال جرت انتخابات «الكنيست» الآن، ستحصل أحزاب المعارضة، ومن ضمنها «المعسكر الوطني»، مع الأحزاب العربية، على 79 مقعداً، في مقابل 41 مقعداً لأحزاب الائتلاف الحالي، وفق استطلاع «معاريف»؛ إذ سيفقد «الليكود» نحو نصف قوّته الانتخابية، وسيحصل على 18 مقعداً. أيضاً، تفوّق غانتس على نتنياهو من حيث الملاءمة لتولّي منصب رئيس الحكومة، بنسبة 52% للأول، و21% للثاني. وبيّن الاستطلاع تراجع شعبية رئيس الحكومة الحالي، في ظلّ الحرب على غزة، حتى في صفوف ناخبي حزبه، الذين قال 52% منهم إنه الأنسب لرئاسة الحكومة، فيما اعتبر 26% أن غانتس يلائم المنصب أكثر.

ومنذ بداية الحرب، تعرّض نتنياهو لهجوم خصومه السياسيين الذين دعوه إلى التنحّي، وأبرزهم زعيم المعارضة الإسرائيلية، يائير لبيد، الذي تقدّم، الأسبوع الماضي، بمقترح لإقالة رئيس الحكومة، لأن «الوقت قد حان لاستبداله»، مشيراً إلى أن تشكيل حكومة وحدة بقيادة «الليكود»، سيحظى بدعم واسع. وأضاف لبيد أن «نتنياهو خسر ثقة مواطنيه وثقة المجتمع الدولي، والأكثر خطورة ثقة الأجهزة الأمنية». وإلى جانب تحميل الكثير من الإسرائيليين، نتنياهو المسؤولية عن الإخفاق العسكري

> تقديرات «متشائمة» تسود الأوساط المقرّبة من نتنياهو، حيال إمكانية العودة إلى مناورة برية واسعة في قطاع غزة

والأمني في أحداث 7 تشرين، فإن ما بات ماثلاً للعيان، أن الأهداف العالية السقف التي وضعها رئيس الحكومة للعدوان على قطاع غزة، تبدو غير قابلة للتحقّق بعد 50 يوماً من الحرب، اضطرّ خلالها، تحت الضغط الشعبي الإسرائيلي، وتحديداً من عائلات الأسرى لدى المقاومة، فضلاً عن ارتفاع حجم الخسائر البشرية في صفوف جنود الاحتلال، لإبرام صفقة تبادل للأسرى، ترافقها هدنة مدتها أربعة أيام قابلة للتمديد.

وطغى على أداء نتنياهو، خلال فترة العدوان على غزة، انشغاله خصوصاً بالحفاظ على منصبه كرئيس للوزراء، كون ذلك يضمن تأمين حصانته السياسي وإلغاء محاكمته بملفّات فساد. وعلى ضوء ما تقدّم، فإن صراعاً متعدّد الجبهات على الساحة الداخلية سيكون على نتنياهو خوضه، أهمّ وجوهه التنصّل من مسؤولية الإخفاق الاستخباري في منع حصول «طوفان الأقصى»، وإلقاء المسؤولية على الأجهزة الاستخبارية والأمنية، على غرار ما فعله بالمحقّقين والمدّعين العامّين في ملفّات الفساد التي يحاكم بها، حيث شكّك في مهنيّتهم وقدراتهم، وحمّلهم مسؤولية تقديمه للمحاكمة لدوافع سياسية. وسلّطت وسائل الإعلام العبرية، في بداية العدوان، الضوء على اهتمام نتنياهو وفريقه المقرّب بجمع مواد ووثائق أمنية وعسكرية سرّية وحرق أخرى، بما من شأنه إدانة قادة الأجهزة العسكرية والأمنية، وإبراء ذمّة نتنياهو، وهو المضمون الذي عبّر عنه الأخير في تغريدة على «إكس»، أثارت ضدّه انتقادات كبيرة آنذاك، اضطرّ إثرها لحذف التغريدة، والاعتذار بسببها. وسيجد نتنياهو، خلال الفترة المقبلة، مزيداً من العبء المُلقى على كاهله؛ فإلى جانب ملفّات الفساد الجنائي التي تلاحقه، ستكون عليه مواجهة قضايا تتعلّق بأمن الدولة. ولعلّ القاسم المشترك في ما بين هذه القضايا، رغبة رئيس الحكومة بتحصين ذاته في منصبه، وإنْ كان العبء الأخير أثقل من أيّ شيء آخر قد واجهه الرجل من قبل، وذلك نظراً إلى الشعبية التي لا يزال يتمتّع بها رؤساء الأجهزة الأمنية، الذين يسعى نتنياهو أن يكونوا كبش فداء له. وإزاء الوضع الداخلي الذي يرزح تحته، وتراجع الدعم الدولي الكبير للعدوان على غزة، لا يبدو أن أمام الرجل خيارات سوى الهروب إلى الأمام، عبر إطالة أمد الحرب إلى أطول مدّة ممكنة، وهو ما ألمح إليه في تصريحاته وتهديداته. كما يبدو أنه لن يكون في عجلة من أمره لتسريع وتيرة الحرب، بل سيسعى إلى إبقاء الكابوس الأمني قائماً في إسرائيل، بما يضمن له البقاء على كرسيّ رئاسة الوزراء، خاصة أن الحرب ستؤخّر شهادته في ملفات الفساد. وفي حالة الطوارئ الدائمة، والأمنية، سيمنحه الرئيس الإسرائيلي، إسحاق هرتسوغ، عفواً، أو سيشرّع بعدها اتصالات دولية من أجل التوصّل إلى تسوية سياسية حول وضع القطاع.

وأضافت الصحيفة أنه بحسب تقديرات المقرّبين من نتنياهو، فإنه في سيناريو كهذا، سينسحب حزب «المعسكر الوطني» بقيادة بيني غانتس وغادي آيزنكوت، العضوَين في «كابينت» الحرب، من الحكومة. وفي موازاة ذلك، سيبدأ ناشطو الاحتجاجات ضدّ خطة إضعاف جهاز القضاء، بتنظيم تظاهرات تطالب نتنياهو بالاستقالة. ويعتقد المقرّبون من رئيس الحكومة أن ما يمكن أن يقوم به الأخير في هذه الحالة، هو أن يعلن، قبل بدء التظاهرات، عزمه على الاستقالة واعتزال الحياة السياسية في نهاية «عملية سياسية لتسوية إقليمية». وعندها، ستجري انتخابات داخلية في حزب «الليكود»، وسيشكّل المرشّح الفائز حكومة من دون الإعلان عن تقديم موعد الانتخابات العامة المقبلة. ونقلت الصحيفة عن المصادر نفسها قولها إن الحديث يدور عن إمكانية تنحّي نتنياهو، وأضافت أن «مستقبل الصفقة مع حماس والحرب في غزة سيؤثّر على اتّخاذ القرار. ونتنياهو سيقرّر بموجب التطوّرات والحالة الجماهيرية - السياسية التي ستنشأ».

وقائع مفاوضات شاقّة: مصر تغلق ملفّ التهجير

القاهرة - الأخبار

قطعت مصر الطريق، نهائياً، على مقترحات استقبال سكّان قطاع غزة في سيناء، في قرار اجتمعت عليه الجهات السيادية التي أبدت اعتراضاً كاملاً على تلك المقترحات، على رغم وجود بعض الأصوات التي كانت تدعم بحث آلية وسطى، بين استقبال البعض والتعامل مع البعض الآخر وفق اتفاقات منفصلة، بما يسمح بتحقيق «عائد اقتصادي» يساعد مصر على تجاوز أزمتها الاقتصادية الخانقة.

وبخلاف الاتصالات التي تولّتها القاهرة سراً وعلناً مع قوى الضغط منذ بداية الحرب، فإن التلويح بالانسحاب من اتفاقية السلام المصرية - الإسرائيلية، شكّل بالفعل إحدى الأوراق الرئيسيّة التي جرى استخدامها، خاصة في الأيام الأخيرة التي سبقت التوصّل إلى هدنة إنسانية، مع التأكيد أن تبعات هذا الانسحاب والتصدّي لمحاولات فرض أمر واقع مغاير لِما استقرّت عليه الأمور، كلّ ذلك ستكون عواقبه وخيمة على إسرائيل. إلّا أن ذلك التهديد لم يقترن بالتخويف من عودة محتملة لأيّ نزاع حربي بين الجانبَين، بل بالحديث عن «اضطرابات أمنية» محتملة على الشريط الحدودي بسبب وجود مخيّمات لجوء، ستجعل من سيناء «نقطة توتّر» من جديد، في حين أنها لم تكن تشكّل أيّ مصدر خطر على إسرائيل منذ اتفاقية «كامب ديفيد»، وحتى في ظلّ الحرب التي خاضتها الدولة المصرية في مواجهة الجماعات الجهادية، فضلاً عن تداعيات غياب التنسيق العسكري مع تل أبيب على تلك المنطقة.

وعلى خطّ موازٍ، لوّحت مصر أمام الأوروبيين، وخصوصاً الفرنسيين والألمان، بأن الضغط لإدخال فلسطينيين من قطاع غزة إلى مصر، ستصاحبه عودة انطلاق موجات الهجرة غير الشرعية في اتّجاه السواحل الأوروبية، محذّرةً من أن قوات الأمن المصرية التي منعت مراكب الهجرة غير الشرعية على مدى 7 سنوات، سيكون اهتمامها منصبّاً على تأمين الحدود أولاً. وهو ما يعني تدفّقاً كبيراً للاجئين على أوروبا. وهذا الأمر نبّه إليه السيسي في اتصالات أجراها مع نظرائه الأوروبيين، ولقاءاته معهم ومع ممثّليهم، محذّراً من أن استمرار الحرب على قطاع غزة، وخروج الأمور عن السيطرة، سيدفع ثمنهما الأوروبيون أيضاً.

ووفق مصدر مصري تحدّث إلى «الأخبار»، فإن هذه الطروحات التي صاغتها الأجهزة المصرية في الأسابيع الماضية، بدأت تؤتي ثمارها، في ظلّ التعامل الأميركي والأوروبي بشكل جدّي معها، بل والتحوّل إلى رفض المقترحات الإسرائيلية بتوطين أهالي غزة في سيناء، وهو أمر حدث سريعاً وانعكس في التصريحات والبيانات الرسمية، بما فيها البيان الصادر عن السفارة الأميركية في القاهرة حول الاتصال الأخير بين السيسي، ونظيره الأميركي جو بايدن. وكشف المصدر أن القاهرة طلبت من الأوروبيين والأميركيين، تسريع إدخال المساعدات إلى غزة، إلى جانب دعمها اقتصادياً بشكل مباشر أو غير مباشر، عبر تسهيل حصولها على قروض جديدة وتسوية أوضاعها مع المؤسسات المالية الدولية، من مثل «صندوق النقد الدولي»، مضيفاً أن انفراجة في هذا الجانب ستحدث بالفعل خلال الأسابيع المقبلة، بالتوازي مع إجراءات اقتصادية داخلية ستُتّخذ للوفاء بالحدود الدنيا من بعض المتطلبات.

ولم تغفل التحرّكات المصرية في الخارج الاستعانة بالداخل، وهو مسار موازٍ جرى العمل عليه بالتنسيق مع الأحزاب والتيارات المؤيّدة للنظام، والتي نظّمت فعاليات عدّة مناهضة لتهجير الفلسطينيين إلى الأراضي المصرية، بالإضافة إلى تنظيم تظاهرات رافضة لهذا الأمر بناءً على توجيه الرئيس الذي خرج بنفسه ليعلن دعمه لهذه التحرّكات. وبالنتيجة، فإن الإستراتيجية المصرية في التعامل مع ملفّ تهجير الفلسطينيين، وإنْ أثارت في فترات سابقة توتّرات مع بعض الفصائل الفلسطينية، إلا أنها كانت ضرورية من وجهة نظر القاهرة لعدم فرض تغيير ديموغرافي، خاصة مع التوقّعات المتشائمة تجاه آلية التعامل الإسرائيلي مع الوضع في قطاع غزة.

التهديد المصري اقترن بالحديث عن «اضطرابات أمنية محتملة» بسبب وجود مخيمات لجوء عند الشريط الحدودي (أ ف ب)

طوفان الأقصى

عن التضامن الإيرلندي مع فلسطين: اندفاع شعبي لا تواكبه النخبة

التماهي مع النضال الفلسطيني عريق وعميق في إيرلندا؛ إذ لا يكاد يرتفع علم الجمهورية في أيّ مكان إلا ويرافقه علم فلسطيني. لكن بينما كانت دبلن أوّل عاصمة دولة عضو في الاتحاد الأوروبي تعترف بـ«منظمة التحرير الفلسطينية» في عام 1980، فإن النخبة البرجوازية الحاكمة، اليوم، بمن فيها قيادة «الحزب القومي الإيرلندي» (شين فين)، تبدو أقرب إلى الخطّ الأوروبي المهادن لإسرائيل، منها إلى الموقف الشعبي المنحاز إلى فلسطين

لندن ـ **سعيد محمد**

جاءت أقسى الانتقادات لمواقف المفوضية الأوروبية بشأن الحرب على قطاع غزة، من جهة الحكومة الإيرلندية. إذ تنصّلت دبلن، سريعاً، من استعراضات رئيسة المفوضية، أورسولا فون دير لايين، ورئيسة البرلمان الأوروبي، روبيرتا ميتسولا، في دعم إسرائيل، ورفضت وزارة خارجيتها، علناً، تصريحات - تمّ التراجع رسمياً عنها لاحقاً - كان أدلى بها أولیفر فارهیلي، مفوّض العلاقات مع الدول المجاورة للاتحاد الأوروبي عبر صفحته على موقع «إكس»، قال فيها إن التكتّل سينفّذ وقفاً كلياً للمساعدات التنموية التي تتلقّاها جهات فلسطينية من المفوضية. وفي المداولات حول غزة قبل قمّة الاتحاد الأخيرة في بروكسل، نهاية تشرين الأول الماضي، وخلالها، ضغط الإيرلنديون من أجل تبنّي إعلان نهائي يتضمّن دعوة إلى وقف إطلاق النار. وفي الأمم المتحدة، كانت إيرلندا من الدول التي صوّتت لمصلحة قرار (غير ملزم) بوقف إطلاق النار في غزة، كانت تقدّمت به الحكومة الأردنية إلى الجمعية العامة.

والواقع أن هذه المواقف الرسمية المتقدّمة لدبلن، في التمايز عن مجمل توجّهات الكتلة الأوروبية تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي، ليست مستغرَبة بالنظر إلى التماهي التاريخي العميق على المستوى الشعبي في إيرلندا مع النضال الفلسطيني، وعلاقات التضامن الكفاحي الوثيقة في مرحلة الثورة الفلسطينية بين المنظّمات الفدائية اليسارية و«الجيش الجمهوري الإيرلندي». ولا تكاد تخلو جدارية في أحياء بلفاست من رسوم تربط مقاومة الشعبَين الفلسطيني والإيرلندي، فيما تبدو مالوفة مشاهدة الأعلام الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الأعلام الإيرلندية في كلّ مكان، حتى على مباني البلديات أحياناً في جميع أنحاء الجمهورية، وحتماً في المسيرات الشعبية الأسبوعية الضخمة المؤيّدة للفلسطينيين، والتي تشهدها العاصمة الإيرلندية ومدن أخرى، منذ بداية أكتوبر.

ودائماً ما انعكست هذه الروح على مواقف النُّخب الحاكمة في البلاد؛ إذ عارضت الحكومات الإيرلندية المتعاقبة الضمّ المنهجي للأراضي الفلسطينية، وأدانت القمع الذي يتعرّض له الفلسطينيون في الأراضي المحتلّة. كما من المعروف أن دبلن كانت أوّل عاصمة أوروبية تعترف بـ«منظّمة التحرير الفلسطينية» (1980)، وهي استقبلت الرئيس الفلسطيني الراحل، ياسر عرفات، في مناسبات عدّة في تسعينيات القرن العشرين، لعقد مباحثات حول سبل التعاون الكفيلة بثني إسرائيل عن تعنّتها في ما يتعلّق بـ«حلّ الدولتين». وفي عام 1999، فاجأ بيرتي أهيرن، رئيس الوزراء الإيرلندي آنذاك، العالم عندما زار غزة، وأجرى مباحثات مع ممثّلي «منظّمة التحرير»، قبل أن يعود مباشرة إلى إيرلندا من دون التوقّف في تل أبيب.

وفي العقد الأخير، تمّ التصويت (2014) على اقتراح حكومي للاعتراف رسمياً بفلسطين، وإقامة علاقات دبلوماسية مع السلطة الفلسطينية. وفي عام 2018، أقرّ مجلس النوّاب مشروع قانون يحظر استيراد جميع السلع والخدمات التي تنشأ في المستوطنات غير القانونية في الضفة الغربية المحتلّة تحت طائلة الغرامة أو السجن. وفي عام 2021، تمّ تمرير اقتراح من «الحزب القومي الإيرلندي»

> **عارضت الحكومات الإيرلندية المتعاقبة الضمّ المنهجي للأراضي الفلسطينية، وأدانت القمع الذي يتعرّض له الفلسطينيون في الأراضي المحتلّة**

(شين فين) يدين الضمّ الفعلي) الذي تمارسه الدولة العبرية بالأراضي الفلسطينية، بعدما حصل على تأييد جميع الأحزاب الممثّلة في البرلمان. وفي أيار من هذا العام، أعلنت الحكومة أنها ستدعم «من حيث المبدأ» مشروع قانون تقدّم به «شين فين» لإجبار صناديق الاستثمار الحكومية على بيع حيازاتها في أيّ شركات ناشطة في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، وفق القوائم التي تصدرها الأمم المتحدة.

لكن التدقيق في هذه التحرّكات الرسمية المناهضة للاحتلال الإسرائيلي والداعمة لحقوق الفلسطينيين، يُظهر مسافة شاسعة لا يمكن جسْرها بين الخطاب العالي اللهجة للمسؤولين الإيرلنديين وبعض مواقفهم المخصّصة للاستهلاك المحلّي من جهة، والواقع العملي لإجراءات الحكومة، من جهة أخرى. إذ، وعلى رغم تبادل التمثيل الدبلوماسي مع السلطة الفلسطينية، فإن قرار الاعتراف الرسمي بدولة فلسطين لم ينفّذ إلى الآن، وهو ما برّرته الخارجية الإيرلندية بالقول إنها ماضية في خطوتها التي لن تتحقّق إلّا بعد «تمكين السلطة الفلسطينية من السيطرة على أراضيها». كذلك، علّقت الحكومة الحالية في دبلن العمل بقانون حظر استيراد السلع والخدمات التي تنتجها المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلّة بعد أقلّ من عامَين على اعتماده. كما أن أيّ إجراءات عملية لم تُتّخذ لتبنّي اقتراح إجبار صناديق الاستثمار الحكومية على بيع حيازاتها في الشركات العاملة في المناطق الخاضعة للاحتلال الإسرائيلي.

ويُضاف إلى ما تقدّم، أن تسعة من نواب الجمهورية في البرلمان الأوروبي، صوّتوا لمصلحة قرار دان الأعمال «الإرهابية» التي نفّذتها حركة «حماس»، وكرّر لازمة «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، ودعا إلى تنفيذ «هدن إنسانية» - بدلاً من وقف تامّ لإطلاق النار -، بينما عارض القرار أربعة نواب فقط، هم: كريس ماكمانوس (شين فين)، كلير دالي (مستقلّة ذات توجهات يسارية)، ميك ولاس (تحالف المستقلّين من أجل التغيير)، ولوك مينغ فلانّاغان (مستقل). لكن القواعد الشعبية لـ«شين فين»، الحزب ذي التاريخ الثوري العريق، تبدو غير قادرة على تفهّم مواقف قيادة الحزب ممثّلةً بماري لو ماكدونالد، التي حاولت تمويه مواقفها المنحازة إلى إسرائيل، عبر استضافة ممثّلة السلطة الفلسطينية لدى دبلن، جيلان عبد المجيد، واحتضانها إيّاها بحرارة أمام مؤتمر الحزب الأخير، في مقابل استمرارها في التأكيد أنها لن تحيد عن الإدانات الرسمية لـ«حماس»، وإصرارها على وصف هجوم السابع من أكتوبر بأنه «مروّع حقّاً»، وإدانتها ما سمّته «استهداف» المقاومة الفلسطينية لـ«المدنيين»، وأسرها «رهائن» منهم.

لكن قيادة الحزب اضطرّت، لاحقاً، وتحت ضغوط القواعد، إلى إطلاق تصريحات دعت فيها إلى طرد السفيرة الإسرائيلية من دبلن، ودعم جهود «المقاطعة وسحب الاستثمارات»، وإحالة إسرائيل إلى «المحكمة الجنائية الدولية». إلّا أنه لدى مناقشة الموقف الرسمي للجمهورية في شأن الأحداث في غزة، وفق مشروع قرار تقدّمت به الحكومة للبرلمان، بدا جلياً أن «شين فين» لم يدعم اقتراح «حركة الناس قبل الأرباح» اليسارية، إدخال تعديلات على مشروع القرار الحكومي، تضمّنت الدعوة إلى طرد السفيرة الإسرائيلية، والمطالبة باستقالة فون دير لايين، وإحالة إسرائيل ورئيس حكومتها، بنيامين نتنياهو، إلى «المحكمة الجنائية الدولية»، وإنهاء الحصار والاحتلال، وتفكيك جميع المستوطنات غير القانونية، وإنهاء سياسات الفصل العنصري الإسرائيلي ضدّ الفلسطينيين، ودعم «حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات». ومكّن ذلك الحكومة من تمرير قرارها متضمّناً إدانة لطرف واحد: المقاومة الفلسطينية، مع رجاء لدولة الاحتلال بأن تتصرّف «بروح إنسانية»، وتشديد على ضرورة أن يتماشى «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها مع مقتضيات القانون الدولي». ويفسّر مطّلعون مواقف «شين فين» المزدوجة تلك، بحرص ماكدونالد على تقديم نفسها كشخصية مقبولة، استباقاً لاحتمال فوز حزبها في الانتخابات العامة المقبلة (2024)، وتزايد فرص توليه تشكيل حكومة.

قرار الاعتراف الرسمي الإيرلندي بدولة فلسطين لم ينفّذ إلى الآن (أ ف ب)

مصر وقطر تتصدّران لا حضور تركياً في المفاوضات

محمد نور الدين

بعد التوصّل إلى اتفاق هدنة إنسانية في قطاع غزة، مدّته أربعة أيام قابلة للتمديد، ويرافقه تبادل للأسرى من النساء والأطفال، لفتَ، في خضمّ هذه العملية، أن الأطراف التي اضطلعت بدور المفاوض فيها، هي الولايات المتحدة وقطر ومصر، إضافة إلى الطرفين المباشرين المتمثّلين في حركة «حماس» ودولة الاحتلال، فيما الغائب الأبرز عن المشهد، كان تركيا التي أبدى رئيسها، رجب طيب إردوغان، منذ اليوم الأول لـ«طوفان الأقصى»، استعداده للقيام بأدوار مختلفة من أجل وقف إطلاق النار، والتوصّل إلى اتفاق يشمل الدعوة إلى مؤتمر دولي لحلّ الأزمة.

ولعلّ الإشارة الأولى المبكرة التي بعث بها إردوغان، تمثّلت في اقتراحه أن تكون تركيا من بين البلدان «الضامنة» لوقف إطلاق النار لدى إعلانه؛ إذ رأى الرئيس التركي أنه يمكن استنساخ صيغة «الضمانة» في غزة، على نحو ما كانت عليه في قبرص، حيث اضطلعت كلّ من أنقرة وأثينا ولندن، بدور الأطراف الضامنة للتوصّل إلى إعلان الجمهورية القبرصية في عام 1960، على أن يمنح أيّ إخلال بالاتفاق، الدولة الضامنة المتضرّرة، الحقّ في التدخّل، وهو ما فعلته تركيا في عام 1974، حين تدخّلت في قبرص لمنع ضمّها إلى اليونان بعد انقلاب عسكري ضدّ حاكمها، المطران مكاريوس. لكن غزة ليست بحال من الأحوال نموذجاً شبيهاً بقبرص، فيما القوات الضامنة، إذا اتّفق على استحداثها، فلن يحقّ لها التدخّل، إذ ستكون غالباً قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة. أمّا الإشارة الثانية، فهي أن تركيا لم تقدم على أيّ خطوة عملية ضدّ إسرائيل احتجاجاً على عدوانها البالغ الوحشية على قطاع غزة، وذلك حتى تحافظ على حظوظها في لعب دور وسيط في الصراع، وخصوصاً في ملفّ تبادل الأسرى والمعتقلين. غير أن عملية التبادل التي بدأت يوم أمس، لم تلمح لا من قريب ولا من بعيد، لا على لسان دولة الاحتلال ولا على لسان مسؤولي «حماس»، أيّ ذكر لتركيا، وهو ما يُعدّ بمثابة انتكاسة لدور هذه الأخيرة.

وعلى امتداد الحرب في غزة، ركّزت تركيا على اتّجاه واحد، هو «الدبلوماسية المكثّفة» التي لم تسفر عن أيّ نتيجة لمصلحتها، على رغم جولات إردوغان الخارجية، من مثل زيارته إلى ألمانيا وأخيراً زيارته المفاجئة إلى الجزائر، والتي أريد عبرها تعويض تغييب أنقرة عن العملية التفاوضية. ومن بين عبارات إردوغان التي أصبحت مثار سخرية وسائل التواصل الاجتماعي، في هذا المجال، قوله للمستشار الألماني، أولاف شولتس: «أقنع إسرائيل بوقف النار، وأنا أقنع حماس بذلك»، كما لو أن قرار الحركة، على الأقلّ العسكري، «في جيبه». كما ركّز الرئيس التركي على دور بلاده في قمّة الرياض العربية - الإسلامية، عبر تكرار القول إن «تركيا فرضت إرادتها على القمّة»، علماً أن هذه الأخيرة لم تقدم على إصدار أيّ قرار عملياتي ضدّ إسرائيل، وذلك بدافع الرفض لهكذا خطوات لدى أربع دول عربية، هي: السعودية، الإمارات، البحرين والمغرب، أيضاً، عندما تشكّل وفد القمّة للتجوّل على عواصم الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، لم تكن تركيا من ضمن الوفد المؤلّف من وزراء خارجية فلسطين، السعودية، مصر، الأردن وإندونيسيا، في زيارتَيه إلى كلّ من الصين وروسيا، فيما كان وزير الخارجية التركي، حاقان فيدان، يشارك في إحدى لجان البرلمان في أنقرة، ومن ثَمّ يرافق إردوغان في الجزائر.

وإذ لا يزال غير معروف ما إذا كان فيدان سيرافق الوفد المذكور في زياراته المقبلة إلى باريس ولندن وواشنطن، يعزو مراقبون تغييب تركيا عن المشهد، في جانب منه، إلى السخط الإسرائيلي على إردوغان الذي كان قال، في أواخر تشرين الأول الماضي، إن رئيس حكومة إسرائيل، بنيامين نتنياهو، «لم يَعُد هو المخاطب» بالنسبة إليه، وإنه بحكم

> **لا يزال غير معروف ما إذا كان فيدان سيرافق الوفد العربي - الإسلامي في زياراته المقبلة إلى باريس ولندن وواشنطن**

غير الموجود، وإن رئيس الاستخبارات ووزيرَي الخارجية والصحة وغيرهم سيواصلون هم الحوار واللقاء مع المسؤولين الإسرائيليين. وأمّا أميركيا، فإنّ زيارة وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، إلى تركيا جاءت من باب «رفع العتب»، بعدما انتقد إردوغان دور الولايات المتحدة الداعم بصورة عمياء لإسرائيل. وإزاء ما تقدّم، يمكن القول إن تركيا خرجت، إلى الآن، خالية الوفاض من أحداث غزة؛ إذ إن وقوفها على الحياد في الأسابيع الأولى للحرب، ومن ثمّ خروجها لاحقاً بمواقف كلامية داعمة لأهالي القطاع، جعلا الموقف الفلسطيني من إردوغان حذراً للغاية ومنزعجاً جدّاً، في الوقت نفسه الذي بات فيه الموقف الإسرائيلي من الرئيس التركي أكثر تشدّداً، على رغم أن الأخير لم يتّخذ أيّ خطوة عملية ذات فاعلية ضدّ دولة الاحتلال.

على امتداد الحرب في غزة، ركّزت تركيا على اتّجاه واحد، هو «الدبلوماسية المكثّفة» التي لم تسفر عن أيّ نتيجة لمصلحتها

الهدنة لا تمنع قصف إيلات
صنعاء توسّع دائرة النار: صواريخ على ميّون

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

على رغم بدء سريان الهدنة بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل، تعرّضت مدينة إيلات، أمس، لضربة جديدة استُخدمت فيها طائرات مسيّرة يُعتقد أن مصدرها الأراضي اليمنية الخاضعة لسيطرة صنعاء، التي كانت قد أعلنت مسبقاً أنها غير معنيّة بالهدنة، ولن توقف ضرباتها إلا بعد أن يوقف العدو الإسرائيلي حربه على قطاع غزة نهائياً. ووفقاً لوكالة «رويترز»، أطلقت صفارات الإنذار في ميناء إيلات على البحر الأحمر، فيما ذكرت وسائل إعلام إسرائيلية أن طائرة من دون طيار تسلّلت إلى إيلات، وهو ما يؤكد فشل أنظمة الدفاع الجوي التابعة للبوارج الأميركية في البحر الأحمر في اعتراضها.

وتزامن هذا الهجوم مع قصف آخر استُخدمت فيه صواريخ متوسّطة المدى، استهدفت هذه المرّة الوجود الأميركي - الإماراتي، في جزيرة ميّون المطلّة على مضيق باب المندب، صباح أمس. وقال ناشطون في مدينة المخا، لـ«الأخبار»، إن انفجارات عنيفة ناجمة عن قصف صاروخي هزّت الجزيرة التي توجد عليها قوات تابعة للأسطول الخامس الأميركي مع قوات إماراتية. وجاءت هذه التطوّرات في أعقاب تصاعد التهديدات الأميركية ضدّ صنعاء، وبعد يوم واحد من إعلان وزارة الدفاع الأميركية اعتراض المدمّرة «توماس هودنر» التابعة لها، طائرات مسيّرة أُطلقت من اليمن، وقولها، في منشور على منصّة «إكس»، إن السفينة وطاقمها لم يتعرّضا لأيّ ضرر نتيجة الهجوم.

في هذه الأثناء، جدّدت صنعاء تحذيرها، السعودية، من تداعيات فتح أجوائها للطيران الإسرائيلي، وحمّلت الرياض مسؤولية أيّ اختراق محتمل للطيران الإسرائيلي للأجواء اليمنية. وأكد عضو «المجلس السياسي الأعلى»، محمد علي الحوثي، في منشور على منصة «إكس»، أن «صنعاء سوف تتعامل مع أيّ تواطؤ سعودي مع الكيان بفتح الأجواء أمام طائراته وصواريخه، كعمل عدائي ضدّ الجمهورية اليمنية، وسيتمّ الرد عليه». وعلى رغم سعي واشنطن وتل أبيب إلى تحريض المجتمع الدولي على حركة «أنصار الله»، لدفعها إلى التراجع عن إجراءاتها ضدّ حركة السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر، قال مصدر ملاحي في صنعاء، لـ«الأخبار»، إن عملية الرصد والتتبّع ضدّ السفن الإسرائيلية والعاملة لمصلحة الكيان في البحر الأحمر مستمرّة، مضيفاً أن حركة الملاحة في موانئ العدوّ تراجعت بنسبة 60% خلال الأيام الماضية، وهو ما

> **صنعاء تحمّل الرياض مسؤولية أيّ اختراق للأجواء اليمنية**

أكدته وسائل إعلام عبرية، كشفت عن تعرّض الاقتصاد الإسرائيلي لأضرار مباشرة، في ظلّ تصاعُد المخاوف من أزمة تموينية في أسواق الكيان. وبحسب وسائل الإعلام تلك، فإن نسبة 70% من الغذاء تُستورد إلى إسرائيل عبر البحر الأحمر، فيما ثمّة سفن عاملة لمصلحة الكيان اضطرت إلى تغيير مسارها للمرور عبر مضيق جبل طارق، الأمر الذي سيكبّد إسرائيل خسائر كبيرة.

في هذا الشأن، يورد موقع «ذا ماركر» الإسرائيلي أن «كبار مسؤولي صناعة السيارات كانوا يخشون من أن يؤدي احتجاز السفينة غالاكسي ليدر إلى ارتفاع أسعار التأمين على النقل البحري للسيارات، لكن يبدو أن تأثير العملية أوسع من ذلك بكثير». ويشير الموقع إلى أن «عدداً من السفن اضطرت خلال اليومين الأخيرين إلى تغيير طريقها، وبعضها عاد إلى الميناء الأصلي، والبعض الآخر أبحر إلى إسرائيل عبر طريق طويل جداً حول أفريقيا وإلى البحر الأبيض المتوسط، عبر مضيق جبل طارق، حتى لا تضطرّ إلى المرور بالقرب من اليمن». وسيؤدي ذلك إلى تمديد الرحلة البحرية بواقع 10 آلاف كيلومتر وشهر كامل، وهو ما سيؤدي بدوره إلى زيادة تكلفة النقل البحري، إلى جانب زيادة أسعار التأمين، حيث قد تصل التكلفة إلى مئات الدولارات للسيارة الواحدة. ويلفت الموقع إلى أن الكيان الإسرائيلي استورد 59,8% من السيارات خلال الأشهر العشرة الأولى من هذا العام من دول آسيا، حيث وصلت عن طريق السفن عبر مضيق باب المندب.

جاءت هذه التطوّرات في أعقاب تصاعد التهديدات الأميركية ضدّ صنعاء (أ ف ب)

طوفان الأقصى

ملاحظات عن نتائج الحرب ومضاعفاتها على غزة

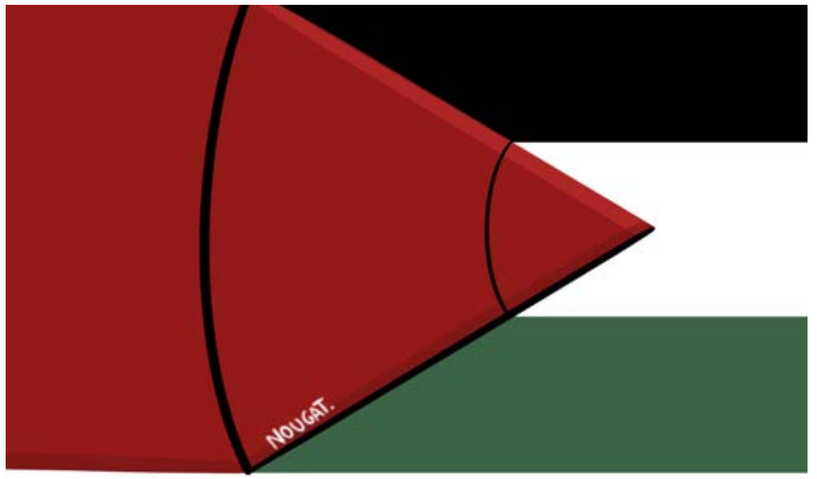

أسعد أبو خليل *

سبعة أسابيع مرّت على الحرب الإسرائيليّة الوحشيّة ضد غزة. هذه حقبة كافية كي نستخلص بعض العبَر منها عن الغرب وعن العرب.

أولاً، إنّ استمرار الحرب دليل معاناة جيش العدوّ في محاولته لتحقيق أهدافه. سقط للعدوّ (فقط منذ بدء التوغّل البرّي وفقط في غزة) 67 جندياً (من المُعلن عنهم، وعدوّنا كذّاب، كما اكتشف بعضهم). قارنْ ذلك باجتياح العدوّ للجنوب في اجتياح 1978 عندما سقط له 18 جندياً فقط. العدوّ يتقدّم في غزة ببطء شديد، والوتيرة تنذر بخسارات أكبر لو تقدّم أكثر. قبول العدوّ بوقف النار (ولو لفترة قصيرة) دليل ضعف لا دليل قوّة. هو كان قد أعلنَ أنه لن يتوقّف قبل القضاء على «حماس» بالكامل، والهدف لا يزال بعيد المنال كما كان عند البدء بالعمليّة (وإعلان نتنياهو أن «الموساد» سيتعقّب قادة «حماس» هو دليل فشل لمصلحة العدوّ). والعدوّ ينجح في الالتزام بعقيدته المؤسّسة عندما يحقّق نصراً سريعاً كما فعل في 1967 أو في حروبه ضدّ لبنان حتى 1982. القدرة الصاروخيّة لـ«حماس» لم تتعطل، بل هي طاولت تل أبيب أخيراً. النبض البياني لـ«حماس» لم يضعف على مرّ الأيام.

ثانياً، فشلت آمال أميركا وإسرائيل في إبعاد «حماس» عن الشعب الفلسطيني. بايدن وصحبه أصرّوا على مرّ العدوان أن «حماس» لا تمثّل الشعب الفلسطيني. كالعادة، يظنّ المستعمر الأبيض أن باستطاعته اختيار زعماء المضطهدين المولّونين. كان العنصريّون البيض يختارون للسود ممثّليهم من الخانعين بينهم. أنور السادات هو الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي والإسلامي عند الغرب. زادت شعبيّة منظّمة التحرير عندما أصرّ الغرب وإسرائيل على إقصائها من المعادلة. والحركة الوطنيّة فشلت في مسعاها لإقصاء «الكتائب»، بل إن مسعاها أثبتتا (من خلال الإعلام وسلوك الجامعة العربيّة) أنهما حليفتان وثيقتان لإسرائيل في أوقات الشدّة وأوقات الرخاء.

سابعاً، خسر العدوّ المعركة الإعلاميّة بالكامل. صحيح أن الإعلام الغربي النافذ لا يزال يناصر إسرائيل ويطمس الرواية الأخرى بقدر المستطاع، لكن ضخّ السردية الفلسطينيّة عبر المواقع يفوز بالتعداد والتداول والوقع. مقارنات التظاهرات من أجل فلسطين بالتظاهرات من أجل إسرائيل تظهر تفاوتاً كبيراً لمصلحة فلسطين، وهنا نتكلّم عن دول الغرب المتعصّبة للصهيونيّة. وهاشتاغات التعاطف هي بنسب ملايين لمصلحة فلسطين. ماذا يعني أن الشباب في كل العالم العربي يعكس ما يُصطلح على تسميته بالنتائج غير المتوخّاة – أي أنك يمكن أن تهدف إلى تحقيق هدف ما من عمل حربي فتأتي النتائج عكسيّة (مثل صعود ظاهرة عبد الناصر بعد العدوان الثلاثي الذي كان يهدف إلى إنهاء ظاهرته بالكامل).

«حماس» ضمنت شعبيّة لسنوات آتية، وبناءً عليه يمكنها أن ترث منظمة التحرير أو أن تؤسّس لمنظمة فلسطينيّة جامعة. وأكبر اقتراع ثقة لـ«حماس» هو غياب اللوم العلني من أهل غزة، وهذا ما كان يعوّل عليه العدوّ (عوّل عليه إلى درجة أنه استعان بممثّلة لفبركة شريط لوم «حماس»).

ثالثاً، التفوّق الجوي بات العنصر الوحيد عند العدوّ. هو ليس عنصراً بسيطاً، لكنه العنصر الوحيد. المشاة كان عنصراً في الحروب التي انطلقت منذ النكبة، لكن ذلك تدهور بدليل تقصير نسبة القتل بين العرب والإسرائيليّين (ذكر دراسة لـ«مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة» في أوائل السبعينيّات وفيها ورد أن نسبة القتل كانت 100 لواحد، لمصلحة العدوّ). أراد العدوّ أن يقتل عدداً هائلاً من الفلسطينيّين بغية تقليص نسبة القتل لمصلحته.

رابعاً، أصبح استهداف المدنيّين اختصاصاً للعدوّ. حركات المقاومة عبر التاريخ المعاصر خاضت في نقاشات طويلة حول جدوى أو أخلاقيّة استهداف مدنيّين خارج فلسطين المحتلّة أو داخلها. حتى حركة «حماس» بعد موجة التفجيرات في الانتفاضة الثانية خاضت في نقاشات داخليّة تأثّرت بالنقاش العام عند الشعب الفلسطيني.

خامساً، النظام العربي الرسمي ليس معطّلاً. هو بأمر من السعودية يخدم مصلحة إسرائيل. هو عطّل مبادرات في قمّة الرياض التحدّث عن تسليح الشعب الفلسطيني أو استخدام سلاح الاقتصاد أو قطع العلاقات مع إسرائيل. وعلاقة السعوديّة السرّية مع إسرائيل أقوى من علاقات الدول العربيّة العلنيّة مع إسرائيل. السعوديّة والإمارات أثبتتا (من خلال الإعلام وسلوك الجامعة العربيّة) أنهما حليفتان وثيقتان لإسرائيل في أوقات الشدّة وأوقات الرخاء.

سابعاً، خسر العدوّ المعركة الإعلاميّة بالكامل. صحيح أن الإعلام الغربي النافذ لا يزال يناصر إسرائيل ويطمس الرواية الأخرى بقدر المستطاع، لكن ضخّ السردية الفلسطينيّة عبر المواقع يفوز بالتعداد والتداول والوقع. مقارنات التظاهرات من أجل فلسطين بالتظاهرات من أجل إسرائيل تظهر تفاوتاً كبيراً لمصلحة فلسطين، وهنا نتكلّم عن دول الغرب المتعصّبة للصهيونيّة. وهاشتاغات التعاطف هي بنسب ملايين لمصلحة فلسطين. ماذا يعني أن الشباب الأميركي الأبيض أعاد اكتشاف رسالة بن لادن إلى أميركا والتي يتحدّث فيها عن انحياز أميركا لإسرائيل كعنصر من عناصر العداء ضد أميركا (لكن بن لادن مرجع سيئ للغاية)؟ «القاعدة» و«داعش» تخصّصتا في قتل المسلمين (والغربيّين عند «القاعدة») ولم تستهدفا إسرائيل أبداً (وإسرائيل كانت تحتضن مقاتلي «القاعدة» في سوريا، باعتراف الحكومة الإسرائيليّة)، نوعيّة بروباغاندا إسرائيل باتت مثار سخرية وهي كانت في زمن أبا إيبان مضرب المثل في الغرب (طبعاً، كانت بروباغاندا إسرائيل، أمس واليوم، تعتمد على الكذب والتلفيق والفبركة).

> خسر العدوّ المعركة الإعلاميّة بالكامل. صحيح أن الإعلام الغربي النافذ لا يزال يناصر إسرائيل ويطمس الرواية الأخرى بقدر المستطاع، لكنّ ضخّ السردية الفلسطينيّة عبر المواقع يفوز بالتعداد والتداول والوقع

ثامناً، لن يعي الغرب مضاعفات سياساته في حرب غزة إلا بعد إخماد النيران. السلوك الغربي الحكومي، في السياسة الخارجيّة والداخليّة، سيعيد النظر في النظرة إلى الغرب في كل مجتمعات الدول النامية. أي طرح شعار لعقوبات دوليّة والقانون الدولي وجرائم الحرب سيُقابل بالسخرية والتشكيك. لاحظت أن أي إعلان من الحكومة الأميركيّة حول روسيا بات يستدعي كمّاً هائلاً من الهزء والسخرية. لا يمكن لأي عاقل أن يصدق مزاعم الحكومات الغربيّة. طبعاً، هناك جمعيّات ووسائل إعلام مُموّلة من الغرب والتي ستتمرّ في عملها للترويج لقيم غربيّة زائفة. لكن تصوّر أن تعقد جمعيّة ممّولة من ألمانيا أو سويسرا أو فرنسا مؤتمراً أو ورشة عمل عن «حريّة التعبير» أو عن «التعايش» أو «احترام الاختلاف» أو (وهذا النكتة الكبرى) عن اللاعنف. أو لنتخيّل أن السفارة الهولنديّة تعقدنا عن حقوق الإنسان أو أن السفارة الألمانيّة تحدّثنا عن القانون والشرعيّة الدوليّة. مهمة هؤلاء باتت أصعب. وسائل إعلام سوروس و«الناتو» ستعاني. وسوروس الابن أكثر مجاهرة بالأجندة الخبيثة من والده: هو يهنئ الحكومة الأوكرانيّة على دورها في الحرب ويؤجّج لها مثل الحكومات الغربيّة.

تاسعاً، بدأت أميركا وحلفاؤها يفقدون السيطرة على مقدّرات العالم. الفصائل العراقيّة التي قصفت القاعدة الأميركيّة أوضحت أنها تفعل ذلك لمعاقبة أميركا على موقفها من فلسطين. الثمن الذي ستدفعه أميركا بسبب تبنّيها حرب الإبادة في غزة سيكبّر. طبعاً، الحكومات ليست في وارد محاسبة أميركا وهي التي تتنصّت لأوامرها. ودول العالم النامي تتمرّد بتشجيع من الصين وروسيا. وعندما يتمرّد الحليف السعودي، وإن قليلاً، على الراعي الأميركي، فإن هذا يفتح المجال أمام المزيد من المبادرات نحو الصين (لم تكن زيارة الوزير السعودي بصحبة وفد الجامعة العربيّة للصين قبل أيام من أجل إيقاف الحرب، بل لإطالة الوقت أمام إسرائيل لتكمل ما بدأت به. لكن إسرائيل في 2006 والآن في غزة تخيّب آمال حلفائها لأن أعداءها أشدّ بأساً منها).

عاشراً، تحرّر العرب والمسلمون في الغرب. أو لنقل إن الشباب العربي في الغرب تحرّر من أثقال كبّلت عمل ونطاق أجيال سبقته. لم أكن أتصوّر أن أرى في شوارع مدن كاليفورنيا شباباً (عربياً ومسلماً بأكثره، لكن مع وجود يهود وبيض مسيحيّين وبعض المسنّين التقدميّين) وهم يهتفون لحريّة فلسطين ولشعار «من البحر إلى النهر». إنّ الإصرار على الهتاف الأخير هو تحدّ بوجه المنظمات الصهيونية وحكومات الغرب التي تريد أن تحظر الشعار. هذا القمع أدّى إلى ردّة فعل عكسيّة. هناك فتاتان لبنانيّتان في نيويورك تعرّضتا لحملة تشنيع فظيعة (ما يُسمى هنا بالـ«دوكسنغ»، أي التشهير عبر نشر معلومات شخصيّة عن الشخص من أجل التسبّب بمعاقبة ماليّة واجتماعيّة) لأنهما شوهدتا وهما تنزعان ملصقات للمخطوفين الإسرائيليّين في غزة. هذا التمرّد من قبل الجيل الجديد سيصطدم لا محالة بثوابت السياسات الغربيّة: أي أن قدرة الغرب على التسويق لديموقراطيّته ستضعف جراء حاجتها إلى مزيد من القمع الداخلي للتعامل مع الشباب العربي والمسلم الذي يعيش في مجتمعاته. وهذا الشباب لا يأبه للقانون: رأيناه في فرنسا وبريطانيا متجاهلاً للقوانين حول التظاهر.

حادي عشر، نظريّة المسار الإبراهيمي سقطت في غزة. افتراض أن طمس القضيّة ودفنها ممكن بوجود أنظمة مُطبّعة زال، وقدرة الإدارة الأميركيّة (شريكة حرب الإبادة المباشرة) على بسط الصلح الإبراهيمي تقلّصت كثيراً. والنظام السعودي يريد أن يتقدّم، لكنه يحجم خوفاً من ردود الفعل في المملكة وفي العالم العربي. غزة غيّرت المعادلات والمعايير والحساسيات. لم يعد لمقولة أن قضية فلسطين ليست مهمة اعتبار حتى في عواصم الغرب. بايدن كان أول رئيس منذ نيكسون لم يباشر بخطوات محددة في «مسيرة سلام».

ثاني عشر، قدرات حماس والحزب والحوثيّين مخيفة للمشروع الصهيوني. الرغبة في قلب النظام الإيراني لا تزال توجّه سياسات واشنطن وتل أبيب. حماس والحزب شكّلا مشروعاً صلباً ومتراصّاً وتعاملا مع الخطر الأمني بشدّة خلافاً لتجربة منظمة التحرير، حيث كانت المنظمات متراخية ومخترقة بسبب عدم غربلة المتقدّمين للانضواء. والسرية لم تكن معتمدة (يذكر الذين عاصروا التجربة أن مزاعم الحكومات الغربيّة كانت أقرب إلى المزاح. وكان الجميع يعرف الأسماء الحقيقيّة للرفاق والإخوة في الخليّة). المشروع الصهيوني يزيد من وحشيّته لأنه يدرك أن هؤلاء من طينة مختلفة وجديدة لم يألفها الجندي الإسرائيلي من قبل. تراقب صور تقدّم المشاة وتتذكّر العنجهيّة التي تحرّكوا بها في غزواتهم في لبنان.

ثالث عشر، الغرب أعلن أنه شريك لإسرائيل في الحرب على غزة، وهو سيدفع الثمن من جراء ذلك من قبل تنظيمات جديدة على الأغلب. حرب الإبادة في غزة ستولّد حركات وتنظيمات ثأريّة جديدة والاقتصاص سيكون عالميّاً على الأرجح لأن كل عواصم الغرب (ربما باستثناء إيرلندا) شاركت إسرائيل في حربها. شعرت حكومات وشعوب الغرب بأن العرق الأبيض في خطر وأن جحافل السود والمولّونين ستصعد بصعود المقاومة الفلسطينيّة في غزة ولبنان. أميركا لم تشعر بعد بمضاعفات هذه الحرب.

الحرب على ما تقف عليه اليوم ليست في مصلحة إسرائيل عسكريّاً أو سياسيّاً. هي نصر ضد الأطفال والإنسانيّة في العالم. صحيح أن المعركة لم تنتهِ بعد، لكنّ النصر الإسرائيلي الذي كانت إسرائيل تحلم به على طريقة 1967 ولبنان فاتَ أوانه مهما حصل بعد اليوم.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

قمّة الاحتواء والتمييع

سعد الله مزرعاني *

بعد قلق وارتباك إثر عملية 7 أكتوبر المفاجئة والصاعقة في مجرياتها ونتائجها، تحرّك، بحذر شديد، موقف دول الخليج، والدول التي طبّعت مع العدو الصهيوني. مفاجأة قادة «الأطلسي» في الحضور الشخصي إلى إسرائيل، تعبيراً عن دعم وشراكة وإشراف قيادي، بعث لديها أملاً في حسم إسرائيلي سريع يعفي حلفاء وأشنطن وأتباعها من واجب إظهار التعاطف مع الفلسطينيين في معاناتهم وكفاحهم. لم تسر الأمور كما تمنّت الأطراف المذكورة. ووسط صمت شبه كامل استمر عدّة أيام، خصوصاً من قِبَل قيادة المملكة العربية السعودية، أعادت وقائع الميدان فرض إصدار مواقف خجولة مطالبة بوقف إطلاق النار، تحت تأثير عاملين مهمين: الإجرام الدموي التدميري الصهيوني الذي لم يستثنِ، بالمطلق، أحداً في غزة؛ والثاني الصمود الأسطوري الذي شارك في صنعه المقاتلون والمدنيون الفلسطينيون على حدٍّ سواء. استمر الأمر على هذا النحو حوالي شهر، لكي يبدأ ظهور تحرك من أجل عقد قمم عربية وإسلامية وأفريقية. كان سبق ذلك نداء الرئيس الفلسطيني محمود عباس، لعقد قمة عربية حول الهجوم الإسرائيلي التدميري لغزة والتهجيري الإرهابي لكل سكانها، وللمطالبة بوقف إطلاق النار. اعتبر الفريق العربي الحليف لواشنطن والمطبّع مع العدو أن مجرد المطالبة بوقف إطلاق النار، فيما الأميركيون يصرون على استمراره أكثر من الإسرائيليين أنفسهم، هو أمر كافٍ لإراحة الضمير وأداء الواجب!

الواقع أنه فيما تطوّع القطريون والمصريون للعب دور الوسيط وامتنعت دولة الإمارات حتى عن إبداء التضامن مع غزة والمطالبة بوقف إطلاق النار، فإن السعودية تصرّفت بعقلية دبلوماسية باردة وكأنها طرف غريب عن المنطقة. وهي لذلك لم تُدخِل أي تعديلات على خططها وأولوياتها الداخلية: مؤتمر «الاستثمار العالمي»، النشاطات الرياضية، الحفلات «الترفيهية»... بل إن «مستشار الترفيه» تركي آل الشيخ، لم يتأخر في القول بأن «السعودية لم تغيّر برنامجها في كل الأزمات السابقة، وهي لن تفعل ذلك الآن»! إلّا أن الميدان كان يضغط تكراراً: بتعاظم المجازر واتساع حركة التضامن العالمية مع الشعب الفلسطيني، ووصولها إلى قلب العواصم والمدن الأميركية والبريطانية والفرنسية، ودائماً باستمرار مقاومة وصمود مدهشيْن، من قبل الفلسطينيين مقاتلين ومدنيين. كذلك امتداد الاعتداءات الإسرائيلية، وسط جنون وهستيريا عنصرية، بالقتل والقصف، والتي شارك فيها غلاة المستوطنين، إلى مدن ومخيمات الضفة الغربية.

إزاء ذلك، كان لا مفر للسعودية من التحرك. بيد أنها اختارت أن تحوّل أزمة موقفها إلى فرصة، لممارسة ما تصبو وما تسعى إليه من دور «قيادي» يملأ فراغاً طال أمده منذ وفاة القائد العروبي التحرري الكبير جمال عبد الناصر، ولكن... على النقيض من نهجه! قرّرت قيادة المملكة أن توسّع من اتصالاتها و«تكبّر حجرها». هكذا وباستلهام هوس «القيادة» لدى الأمير محمد بن سلمان خصوصاً، فقد تمّت الدعوة لعقد عدة مؤتمرات على مستوى القمة: عربية وإسلامية وأفريقية، اختُصرت سريعاً بقمة عربية-إسلامية ترأسها ولي العهد، وبلجنة اتصالات بـ«قيادة السعودية» أيضاً. وقف إطلاق النار المباشر والسريع كان هو الهدف العملي شبه الوحيد، ولكن ضمن دبلوماسية تأعمة تساوي بين مواقف وسلوك دول القرار في مجلس الأمن. ذلك بسبب أن القمة التي حضرها قادة وممثلو 57 دولة، لم يتضمّن بيانها الختامي تقييماً للمسؤوليات: مسؤوليات العدو وداعميه، ليُبنى على الشيء مقتضاه. في امتداد ذلك، لم تتضمّن نتائج القمة، لا في البيان المعلن، ولا في إجراءات وقرارات غير معلنة، تدابير وخططاً لممارسة ضغوط على الجهات المسؤولة عن التصعيد والمجازر والدمار الهائل والتهجير تحت وابل، لا ينقطع، من القصف والقتل والحرائق.

إن في حوزة هذا العدد الكبير من الدول المشاركة، الكثير من وسائل الضغط السياسية والاقتصادية، وحتى العسكرية، من نوع استخدام سلاح النفط، وتجميد مسارات التطبيع، وقطع العلاقات أو سحب السفراء، أو التهديد بشيء من كل ذلك. وتقع في مقدمة القادرين، على ممارسة ضغط مؤثر وفعّال، المملكة السعودية نفسها! وقد أشار عديدون إلى هذا الأمر، دون أن يترك ذلك أثراً في البيان أو في القرارات! لم يكن ثمة من داعٍ لزيارة الصين وروسيا، إلّا لتعزيز انطباع بأن الدول الكبرى متساوية في موقفها من الأزمة، وأنه ينبغي مطالبتها أو التعامل معها بتوجّه واحد. وفق ذلك تساوت، مثلاً، موسكو التي تقدّمت بمشروع مبكر لوقف فوري لإطلاق النار، وواشنطن التي أحبطته، وتقدّمت لاحقاً بمشروع لإدانة «حماس» ولتأييد حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها عبر المجازر والقتل الذي لا يميز بين حجر وبشر.

> إنّ 57 دولة وسواها قد مُنعت بـ«قيادة» السعودية من ممارسة ضغط حقيقي لوقف المجزرة

في الواقع، إن سبب ذلك عدّة أمور: أولاً، ما أشرنا إليه من التهرب من تحمل المسؤولية المعنوية والسياسية حيال الإجرام الصهيوني من نوع استخدام سلاح النفط أو مراجعة مسار التطبيع مع العدو. ثانياً، عدم إظهار موقف داعميه، بل شركائه في العدوان، خصوصاً واشنطن التي تولّت قيادة معركته الشاملة، مباشرة، ومن مكتب «الكابينت» الحربي: بالصوت والصورة؛ ثالثاً، عدم الخروج عن السقف الأميركي الذي حدّده الرئيس بايدن بشأن «حل الدولتين». وهذا الحل المزعوم، الذي رفضته دائماً إسرائيل برعاية أميركية متواصلة من موقع الوساطة الزائفة في الصراع، ليس إلا محاولة لإدعاء أفق سياسي للأزمة يدرك الجميع أن جديته تبدأ بتراجع واشنطن عن اعترافها بالقدس عاصمة موحّدة للصهاينة، وبوقف مسلسل التطبيع وقبله الاتفاقيات معها من قبل الدول التي انزلقت إلى ذلك في صيغة معاهدات، قديماً، أو علاقات تطبيع، حديثاً، وآخرها المملكة العربية السعودية نفسها.

وعلى النهج السعودي وبقيادته سارت كلّ من القاهرة وعمّان. وهما تمايزتا بقلقهما الشديد من موجة هجرة أو تهجير فلسطينية من غزة أو الضفة حرصاً على النظام في البلدين، وليس رفضاً لمخطط أميركي أو صهيوني ضد الشعب الفلسطيني ولتصفية قضيته.

إنّ 57 دولة وسواها قد مُنعت بـ«قيادة» السعودية من ممارسة ضغط حقيقي لوقف المجزرة ضد الشعب الفلسطيني في غزة والضفة معاً. وما جرى ويجري إنما يمثّل قمة التفريط الذي لا ينمّ عن قيادة ولا يؤدي إلى امتلاكها. إنه ينمّ عن ذيلية للسيد الأميركي الذي لم تتراجع عدوانيته إلا بسبب حملة التضامن العالمية الهائلة مع تضحيات وبطولات الصامدين والمقاومين ممن أثبتوا، مرة جديدة، أن الشعب الفلسطيني يستحق، ليس دولة على جزء من فلسطين، بل دولة حقيقية على كامل ترابه الوطني. أمّا القيادة، فلا تُفتعل أو تُشترى أو تُستأجر، بل هي تُكتسب في مجرى الدفاع عن المصالح الوطنية والقومية، لا عبر التخلي عنها!

* كاتب وسياسي لبناني

حول هدنة الأيّام الأربعة

منير شفيق *

إنّ تقدير الموقف حول الهدنة الإنسانية لمدة أربعة أيّام في قطاع غزة بين حماس والكيان الصهيوني، وبوساطة قطرية - مصرية، وبدعم أميركي، يكاد يُجمع، ولا سيما في الصحافة الصهيونية، ومن جانب كثيرين من المعلّقين، بأن الهدنة جاءت بعد تراجع نتنياهو والقيادة الموحّدة معه، فقد كانت مقترحة من قبل، ولم يقبلوها، وأصرّوا على استراتيجية استرجاع «الرهائن» تحريراً، وبالقوّة.

ومن ثم فتراجعه، تراجعهم، ما كان ليحصل إلّا بعدما يئسوا من نتائج المعركة البرّية، ليس على مستوى تحرير الرهائن فحسب، وإنما أيضاً، على مستوى الحرب البرّية، ككل، أو قل حتى الآن. لأن الاحتمال الأقوى هو أن تعود الحرب على أشدّها، سواء أكانت الحرب على المدنيين والأحياء السكنية والمستشفيات والمدارس، أم كانت الحرب البرّية.

فلا تزال أميركا مرتبكة، متردّدة في الحسم، بسبب النتائج العملية المترتبة على الحربين، وخصوصاً الحرب الفضيحة بالنسبة إليها، والموجهة ضد المدنيين، المخالفة، بصورة صارخة للقوانين الدولية الإنسانية، والتي راحت تَصم أميركا بالسكوت والتواطؤ، على ما يُرتكب من جرائم حرب، وجرائم إبادة، إن لم تُتَّهم بالمشاركة مباشرة، من خلال طائراتها وقذائف طائراتها التي لا تُباع إلا بشروط تقيّد استخدامها، بموافقة الرئيس الأميركي والبنتاغون. وكذلك أيضاً بسبب فقر النتائج من خلال الحرب البرّية، وقد ضمّت خبراء أميركيين لمساعدة جيش العدّو في إدارة الحرب البرّية.

ولا شك في أن الاحتمال الأسطوري من قِبَل أهالي قطاع غزة، سمح في مواجهة ما تعرّضوا له، من تقتيل وتدمير، كما الصبر على أقسى ألوان الآلام، بسبب الفقدان، بالجملة، للأقارب والأحبّة والمعارف، وبسبب الحرمان من الدواء والماء والطعام، وتعطيل المستشفيات، كما أشدّ العذاب النفسي.

وبكلمة، لولا الإيمان بالله، ووعده للشهيد الذي لا يموت، ويبقى حياً يُرزق، بكل خير من عند ربه سبحانه وتعالى، ولولا التصميم على تحرير فلسطين، ورفض احتلالها، بالقوّة الغاشمة، وإقامة الكيان الصهيوني الذي اقتلع الملايين وشرّدهم وحلّ مكانهم، لما كان هذا الصمود والاحتمال الأسطوريان، ونصرتهم لقضية فلسطين.

وأمّا العامل الحاسم الذي يقود المواجهة في الحرب البرّية، كما في حرب الصمود، واحتمال ما عاناه أهالي غزة، فهو قيادة المقاومة، وكوادرها ومقاتلوها، إذ يواجه أهلهم، الأب والأم والولد والأقارب، وسط الأهالي، وما يعانونه من القصف الوحشي، بلا زيادة، أو نقصان. ثم هنالك الدور الأول: المقاومة التي راحت تُفشل الاقتحامات، ونقاط التغلغل في القطاع، بإنزال أفدح الخسائر، في الجند والضباط، كما في الدبابات والآليات.

لقد أصبح من المؤكد، عبر التجربة العملية والبتاغون. وكذلك أيضاً بسبب فقر النتائج من خلال الحرب البرّية، وقد ضمّت خبراء أميركيين لمساعدة جيش العدّو في إدارة الحرب البرّية.

ولا شك في أن الاحتمال الأسطوري من قِبَل أهالي قطاع غزة، سمح في مواجهة ما تعرّضوا له، من تقتيل وتدمير، كما الصبر على أقسى ألوان الآلام، بسبب الفقدان، بالجملة، للأقارب والأحبّة والمعارف، وبسبب الحرمان من الدواء والماء والطعام، وتعطيل المستشفيات، كما أشدّ العذاب النفسي.

وبكلمة، لولا الإيمان بالله، ووعده للشهيد الذي لا يموت، ويبقى حياً يُرزق، بكل خير من عند ربه سبحانه وتعالى، ولولا التصميم على تحرير فلسطين، ورفض احتلالها، بالقوّة الغاشمة، وإقامة الكيان الصهيوني الذي اقتلع الملايين وشرّدهم وحلّ مكانهم، لما كان هذا الصمود والاحتمال الأسطوريان، ونصرتهم لقضية فلسطين.

وأمّا العامل الحاسم الذي يقود المواجهة في الحرب البرّية، كما في حرب الصمود، واحتمال ما عاناه أهالي غزة، فهو قيادة المقاومة، وكوادرها ومقاتلوها، إذ يواجه أهلهم، الأب والأم والولد والأقارب، وسط الأهالي، وما يعانونه من القصف الوحشي، بلا زيادة، أو نقصان. ثم هنالك الدور الأول: المقاومة التي راحت تُفشل الاقتحامات، ونقاط التغلغل في القطاع، بإنزال أفدح الخسائر، في الجند والضباط، كما في الدبابات والآليات.

2- الغالبية العظمى من دول العالم تطالب بوقف إطلاق النار، وشجب القتل الجماعي للمدنيين، ما جعل الكيان الصهيوني وأميركا في حالة عزلة دولية خانقة.

3- فتحت جبهات متعدّدة ضد الكيان الصهيوني وأميركا في لبنان والعراق واليمن، وكلها تطالب بوقف العدوان على قطاع غزة، ما يتهدّد الحرب بتوسّعها، على ضدٍ من السياسة الأميركية.

4- الفشل في الحرب البرّية، بالرغم مما حدث من اختراقات واقتحامات، إلّا أن المبادرة واليد العليا استمرتا من نصيب المقاومة، كما أن ثمة خسائر يومية فادحة تلحق بالدبابات والآليات والأفراد في جيش العدو، ما أفشل خطته الهجومية، ووضعه في حالة استنزاف يصعب عليه احتمالها أكثر.

تشكّل هذه النقاط حالة ميزان قوى عام، في غير مصلحة الكيان الصهيوني وأميركا، الأمر الذي سيسهم، مع تصاعده أكثر، في تقرير مصير الحرب، بهزيمة تنتظر منهما التراجع، فالتراجع عن استراتيجية قتل المدنيين وتدمير قطاع غزة، كما التراجع عن وهم القضاء على المقاومة الممثّلة بقيادة «كتائب عز الدين القسّام»، و«سرايا القدس». ويسمح بمرحلة جديدة تحمل استراتيجية المضيّ للتحرير الكامل لكل فلسطينيّ إن شاء الله.

* كاتب وسياسي فلسطيني

طوفان الأقصى

السيف والأفلاك والشهب [2/2]

العبرة اليثربيّة

حسن الخلف *

دلّل السيّد حسن نصر الله - خلّد ذكره - في خطاب له لجمهور المقاومة عمّن خذلهم، بأنه لولا خذلان أهل المدينة للحسين في كربلاء (680 م)، ما كانت لتقع وقعة الحرّة فيهم (683 م)! لأن اليثاربة، كالكوفيين والبصريين، تقاعسوا عن نصرة الحسين بدعوى أنّ لهم أنفساً، وأعراضاً، وأموالاً، وأولاداً ونساء، يخافون عليها أن تنتهك، فضنّوا على أهل بيت النبي فيها. فكان أن استفرد بهم الأمويون، فسلّط عليهم يزيد بن معاوية، مسلمَ بن عقبة، وابن عقبة هذا، قيل كان عسكرياً غليظ القلب، بارّاً لبني أميّة، ولع بسفك دم عدوّهم، وهو الذي فقأ الشيعة عينه بصفّين (657 م)، وهو يقاتل أميرهم علي بن أبي طالب. إذاً، نحن أمام قائد قدّم عينه كرماً لتنهض دولة أميّة، وعاش ما بين صفّين والحرّة 26 عاماً أعور حاقداً متربّصاً على من يخرج عليهم. صورة مسلم هذا، ستلبد بتراثنا تحت اسم مسرف، لأنه حين تسلّط على أهل المدينة، أباحها لجنده ثلاث ليال، ففضّت بكارة آلاف من الفتيات، وولد آلاف الأطفال لا يعرف لهم صلب!

> لكل مدينة ولادة متأخّرة! غزة هاشم لم تكن يوماً ذات دور مركزي في وعينا ومصيرنا وثقافتنا. لكنها اليوم تولد أمامنا كشرارة لنهضة أمّة الغرباء التي قد تضيء المنطقة من جديد

العبرة المخيفة لنا نحن - عرب اليوم - أن معظم بلادنا تشبه أهل يثرب، الذين خذلوا علياً وولده كخذلان أغلب العرب أهل غزة، طبعاً، أنا أستثني جبهة المقاومة، وأرفض المزايدة الرخيصة المشبوهة عليهم. فجبهة المقاومة وفت وكفّت، ولا يفتي من رأسمال ممانعته مقاطعة ستاربكس وتغريدات بليدة، لمن حفر الأنفاق، وسيّر فيها الكتائب والأجناد، وحرّر لبنان والعراق، وذاد عن اليمن وسوريا وغزة.

على أيّ حال، حرصت أن أستعمل اسم يثرب، لعدّة أسباب، منها أنه ينقل لنا الصورة البشرية ليثرب المدينة التائهة قبل ورود النبي، ويثرب المدينة المتخاذلة عن نصرة الإمام علي. فهي بذلك ليست «المدينة المنوّرة»، ذات الدور التاريخي البطولي بانطلاق الإسلام، إنما المدينة التي تتنازعها الأهواء والأساطير المؤسسة للفاجعة اللاحقة. أمّا اسم المدينة فهو تعريب للاسم الآرامي لها مدينتا، حسب ما وردت لدى إسطيفان البيزنطي (عاش في القرن السادس الميلادي).

ينقل لنا مؤرّخونا صورة سلبية لدور اليثاربة المتقاعس عن نصرة الإمام علي ضدّ والي الشام المتمرّد معاوية بن أبي سفيان (توفّي 680 م)، فابن كثير يقول: «وكان عليّ لما عزم على قتال أهل الشام، قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه» (البداية والنهاية، ج 7، صفحة 231). ويذكر أيضاً: «قال الشعبي: ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع، وقال غيره: أربعة» (البداية والنهاية، ج 7، صفحة 234). وهناك نصيحة تقدّم بها أبو أيوب الأنصاري (توفي 674 م)، ترد في كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي (توفّي 927 م)، وأبو أيوب من أخلص شيعة الإمام علي، خرج معه ورفع رايته بكل معاركه. نصيحة أبي أيوب الأنصاري، جاءت حين أراد نقل عاصمته نحو الكوفة. فنصحه أبو أيوب: «يا أمير المؤمنين! إني لأشير عليك أن تقيم بهذه البلدة فإنها الدرع الحصينة ومهاجر رسول الله، وبها قبره ومنبره فأقم بها، فإن استقامت لك العرب، كنت بها كمن كان من قبلك، وإن تشعب عليك قوم، رميتهم بأعدائهم من الناس»، فردّ الإمام علي: «صدقت يا أبا أيوب! ولكن الرجال والأموال بالعراق، وأهل الشام لهم وثبة، أحبّ أن أكون قريباً منهم، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا!» (كتاب الفتوح، الجزء الأول، ص 447).

لكن خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، عقّد المشهد على الإمام علي، وشوّش المشهد أكثر على أهل المدينة، فانقسم اليثاربة أكثر. ففضّل أغلبهم ألّا يخرج مع علي، لا إلى البصرة ولا إلى الشام. فما كان من الإمام علي إلا أن ينقل حكمه إلى الكوفة ليواجه فتنة أهل البصرة والشام، رغم خذلان أغلب اليثاربة له. هنا خطب الإمام علي فيهم خطبة لم تشتهر، كخطبته بأهل العراق، عرفت (بخطبة أهل المدينة)، ومنها:

«أيتها الأمة التي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها فأصرّت على ما عرفت، واتّبعت أهواءها... وقد استبان لها الحق فصدّت عنه، والطريق الواضح فتنكّبته... أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه... وسلكتم من الحق نهجه، لنهجت بكم السبل، فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم، ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام فأظلمت عليكم دنياكم برحبها... رويداً عما قليل، تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم... أما والله لو كان لي عدة أصحاب طالوت أو عدة أهل بدر وهم أعداؤكم لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق وتنيبوا للصدق فكان أرتق للفتق وآخذ بالرفق!» (المجلسي، بحار الأنوار، ج 28، ص 240).

المؤلم في ما يخص تاريخ الأنصار، كما يعرف أهل المدينة المنورة، أنهم كان لهم موقف تاريخي ثوري بنصرة النبي. لكنهم حين خرجوا أخيراً، بعد خذلانهم الإمام علياً والحسين كليهما، تحت راية إمام كالذي كانه ابن الزبير (قتل 692 م)، فانتهت حالهم لمذبحة الحرة.

من نبونيد إلى بني أمية!

لربما لم تكن يثرب يوماً مجتمعاً موحداً إلا في حقبتَي الدعوة المحمدية والفتوحات الراشدية. ما يهمّنا هنا أن ننظر في طريقة تشكل شخصية المدينة التي تعوّدت على الانقسامات السياسية التي أضعفتها. لا نعرف شيئاً عن تاريخ يثرب التي عرفت بـ«أتريبو»، قبل أن يرد ذكرها أول مرة في سجلات السلالة الكلدانية البابلية في القرن السادس قبل الميلاد، كآخر نقطة توغّل للممالك الرافدينية في جزيرة العرب، لربما باتجاه احتكار خط تجارة البخور واللبان اليمني.

لكن الملك البابلي نبونيد (556 ق.م – 539 ق.م)، وهو من مواليد حران كآسد بن الفرات بالمناسبة، سار بجيشه من بادية الأردن نحو أتريبو، لربما سالكاً الطريق نفسه الذي سلكه مسرف بن عقبة. الطريق الذي سلكه البابليون كان جديداً عليهم بدون شك، فلم يسبق لجيش مشرقي أن توغل عبر الصحراء العربية بهذا العمق. فهل سنرى يوماً أحد الطامحين، يسلك الطريق نفسه، ليدنّس أو يحرّر مقدساتنا الحجازية المحتلة؟

أتريبو، كغيرها من مدن شمال غرب الجزيرة العربية، كان فيها استيطان تجاري يمني معيني، جعلها مدناً ثرية جداً، لكنها مستفزة للبابليين لسبب ما. فعمل ملوك بابل نبوخذ نصر (605 ق.م -562 ق.م)، ونبونيد على تصفية الوجود المعيني بها، وتوطين خليط من بابليين وآراميين ويهود وعرب ولاؤهم لبابل. المدن التي من المرجح أنها تعرضت للتصفية والتوطين، هي «ممالك» خبرا (خيبر)، وأدوماتو (دومة الجندل)، وتبوك، وديدان (العلا حالياً) ثم بداكو (فدك الإسلامية، حالياً الحايط)، ويديخ (يديع، حالياً الحويط) (راجع جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جزء 1 وجزء 4).

المثير في هذا الموضوع أن السرديات الشفوية اليهودية وبعض الأخبار العربية ستستبدل بهوية الغزوات الاستيطانية البابلية التي قام ملوك الأسرة الكلدانية من مثل نبوخذنصر ونبونيد الكلدانيين، شخصيات يهودية مثل الملك داود والنبي موسى، أو هذا ما وصلنا عنهم (جواد علي جزء 4، ص 129).

حين وصل الأوس والخزرج ما بين القرن الثاني والثالث الميلاديين إلى يثرب، أي بعد سبعة قرون أو ثمانية، وجدوها مسكونة بشكل خاص من اليهود، الذين كانوا على الأغلب ممّن وطنهم نبونيد. لكن الخزرج رغم كونهم يمنيين يختلفون قليلاً عن الأوس، فالأوس أساس تحالف عشائري ملتفّ حول الإله مناة، لذا فإن اسمهم الحقيقي هو أوس مناة ومعناه هبة مناة (جواد علي، جزء 4، ص 135). وهم بذلك أهل عقيدة على ما أرجح أكثر من الخزرج الذين كانوا أكثر عشائرية منهم. وهذا لربما يشرح لمَ حالف أغلب اليهود الأوس، ضد الخزرج الذين لم يقف معهم أثناء الحرب الأهلية الطويلة في يثرب سوى يهود بني قينقاع وحلفائهم من الأعراب؟

المثير للغرابة، كما يرى جواد علي، أنه ليس في يثرب أيّ معبد وثني لعربها، رغم كون الأوس والخزرج من الوثنيين. ولهذا احتمالان، إمّا لأن التأثير اليهودي كان قوياً جداً فلم ينجح مثل هذا المشروع الديني، أو أن الأوس والخزرج كليهما كانوا شبه أعراب لا خبرة لهم بالمعابد.

كانت يثرب مدينة غير مسوّرة، كالحيرة بالضبط، لكن تكثر فيها الآطام، والآطام هي حصون عربية تنتشر في كل الجزيرة العربية وتعرف في العراق خصوصاً الحيرة بالقصور (جواد علي، جزء 4، ص 132). وكان الأوس والخزرج يتقاتلون على الآطام، التي يحتمي فيها الموسرون من أهل المدينة عند تعرض المدينة لغزو خارجي.

الأوس والخزرج لم يؤدّوا الأتاوة لملك قط، حتى إنهم تعرضوا لغزو ملك اليمن أبي كرب أسعد الحميري (390 م – 420 م)، لأنهم قتلوا ابنه الذي أمّره عليهم. ففرض الملك عليهم حصاراً قاسياً، وخرّب بساتينهم وقطع نخلهم. لكن عرب يثرب كان لهم طريقة مثيرة في المقاومة، حيث كانوا يحاربونه نهاراً ويكرمونه وجيشه ليلاً بالعشاء (جواد علي، جزء 4، ص 133). في هذه الأثناء قاتل اليهود والعرب معاً الحميريين، حتى أتى الملك حبرين يهوديين من أهل يثرب، وعرّفاه على عقيدتهم، فأعجبه علمهم، وتهوّد وأخذهم معه لنشر عقيدتهم في اليمن (الكامل في التاريخ، ابن الأثير ج 1، ص 321).

يبدو أن اليهود استقووا بعد ذلك أكثر، وفي حوالي منتصف القرن السادس الميلادي، جاء يهود يثرب على ما يبدو بزعيم يمني يهودي لقّب بالفطيون ليُؤمَّر على يثرب. فكان هذا الفطيون يسيء معاملة الأوس والخزرج ويعتدي على نسائهم، حتى قتله أحد شجعان الخزرج، واسمه مالك بن عجلان؛ فرّ مالك بعد فعلته إلى إمارة الغساسنة، وكان بينهم أمير مقدم فيهم من الخزرج اسمه أبو جبيلة. نجح ابن عجلان في إقناع أبي جبيلة بغزو يثرب ليكسر شوكة اليهود وليشرك عرب يثرب في مالهم وبساتينهم وآطامهم، فنجح في ذلك بعدما قتل وجهاء اليهود بحيلة. ردّ اليهود بتصوير مالك بن عجلان على كنسهم وصوامعهم، ليراه المصلّون ويلعنوه (جواد علي، جزء 4، ص 134).

رغم تغلب العرب على يهود المدينة، إلا أنه في الحقبة ما بين 550 م حتى هجرة النبي محمد عام 622 م إليها، خاضت يثرب حرباً أهلية طويلة بين الأوس والخزرج واليهود. وقف فيها بنو قريظة والنضير بني اليهود ضد الخزرج وحلفائهم بني قينقاع اليهود، وقبائل بدوية من خارج يثرب. دمرت تلك الحرب المجتمع العربي اليثربي، وألهتهم عن زراعة أرضهم، وتعلّم التجارة، وغيرها من صنائع. بعد هجرة النبي تشكلت أول مرة أمة «مؤمنين» تجمع كل أهل المدينة، عرباً ويهوداً، واستمرت لسنوات حتى خيانة بني قريظة والنضير وقينقاع للحلف الجديد أو «الأمة» بمعركة الخندق حين حاصرت قريش يثرب سنة 627 م (Hoyland: 2002).

أسلم كثير من اليهود، وحسن إسلامهم، فاستشهدوا دفاعاً عن الأمة الجديدة، ومنهم ولد الفطيون، الذين قاتلوا إلى جانب أبناء قاتل أبيهم مالك بن عجلان، في معارك بدر واليمامة، وغيرها. بعد وفاة النبي، سيجتمع اليثاربة مرة أخرى لمخالفة القرشيين على الخلافة، لأنهم رأوا أنفسهم أحق بها من الإمام علي وبقية المهاجرين القرشيين، لكنهم سيفشلون.

من ينظر لتاريخ يثرب سيرى أنها مرت بمراحل، ففي بدايتها يبدو أنها حاولت أن تنافس بقية مدن قوافل البخور واللبان المتجهة إلى اليمن. بمعنى كان مشروعها كله أداؤها دوراً صغيراً مرتبطاً باليمن، لا يحمي المدينة من غزوات الجيران، حتى جاءهم الغزو الكلداني فدمرت، وخسرت هويتها الأولى وتوطّن قوم أغراب فيها، سيشكلون أهلها. «يثرب الكلدانية»، إن جاز الوصف، صارت مدينة منقسمة على نفسها، تعمّها العداوة والتنافس، ميّالة إلى التمرّد منذ أيام الهيمنة الحميرية، في القرن الرابع الميلادي حتى هجرة الرسول. مدينة ابتدأ تاريخها بإبادة حين وطئها نبوخذنصر في القرن السادس قبل الميلاد، حتى انتهت شخصيتها المتمردة بمذبحة شنيعة في عصر يزيد (680 م – 683 م).

في مدن ودويلات صغيرة كيثرب، سيكون مصيرك الاندثار، إن لم تلتحق بمشروع إمبراطوري وطني يشبه ثقافتك المحلية. حسناً فعل اليثاربة بنصرة الإسلام، لكن قيم الثورة الإسلامية بينهم تشتت وعادوا، بعد رحيل النبي، لسيرتهم الأولى، مجتمعاً منقسماً لأشياع وفرق. ما فشل فيه اليثاربة قبل غيرهم، أنهم عجزوا في فهم القيمة الثورية لأهل بيت النبي فراهنوا على مُسح دجالة بدل الالتفاف حول الإمام علي وولده منذ اليوم الأول.

تركة المقتلة الأموية تشكل هويتنا

بدون شك، تركت مأساة وقعة الحرة أثرها في تراثنا وتكويننا، فالمدينة المنورة أو يثرب لم تكن المدينة الهامشية التي غزاها الكلدان والمعينيون، بل كانت حتى ذلك الوقت عقل المجتمع الإسلامي.

ومن الآثار المباشرة على أهل زمانها، أنها غيّرت شخصية المدينة الاجتماعية، لدرجة أن إمام مدرسة المدينة مالك بن أنس (توفّي 795 م)، الذي ولد بعد نحو ثلاثة عقود من هذه الفظائع، كان شديد الحساسية من مسألة الثورة والعصيان، فأورث أتباع المذهب قولاً حفظناه صغاراً لمن نشأ بين المالكية: «أن لا يجوز الخروج على الإمام، إلا اذا أظهر الكفر البواح، أو امتنع عن إقامة الصلاة». لا بد أن أسرة مالك اليثربية، قد شهدت أهوال وقعة الحرة، وأورثت لجيل كامل من بعض اليثاربة، عبثية مقاومة السلطة المتجبرة، الذين تحوّلوا تدريجياً على ما يبدو من ثقافة التمرد إلى إنتاج الأدبيات الدينية الدعوية والعلوم الفقهية.

ولا أستبعد أن تكون هذه المجزرة، إضافة إلى معركة كربلاء (680 م)، قد أثّرت كذلك على السكون الذي تبنّته مدرسة مدنية أخرى، وهي الإمامية أول أيامها في عصر الأئمة زين العابدين (توفّي 713 م)، والباقر (توفّي 732 م)، والصادق (توفي 765 م)!

الخير الذي ولد من باطن الشر، كما يقال، أوجد لنا مدرستين فقهيّتين، خدمتا العالم الإسلامي من مشرقه لمغربه. وهنا أتحدث عن الإمامية والمالكية؛ دور المذهب الإمامي واضح من خلال النهضة السياسية والمجتمعية التي أطلقها الإيرانيون في المنطقة، والتي رأينا آثارها اليوم في لبنان والعراق واليمن وغزة. بينما قدّمت المالكية التأصيل الفقهي، لفكرة استقرار الممالك الإسلامية بشمال أفريقيا، وهي بلاد بمجملها ثغور، والتفاف الأمة حول وليّ أمرها ضرورة قصوى هناك.

أمّا الإمامية، فكان لا بد من أن تمر بفترة انتظار طويلة تعدّ العدّة الآيديولوجية، والمادية والعددية، ولولا ذلك لانقرض الشيعة، فيما لو أن أئمة أهل البيت جميعاً حملوا السلاح ليموتوا بمعارك غير متكافئة! من هنا، قد نفهم مقولة الشيخ الصدوق (توفّي 991 م) شرح أهمية تثبيت جماعة علمية متخصصة آمنة ومنتجة، بقول عن الإمام جعفر الصادق، بأن «إذا كان يوم القيامة، جمع الله الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء» (من لا يحضره الفقيه، ج 4، صفحة 292).

بالمناسبة، إن اليهودية مرّت بالمسار نفسه، قبل الإمامية والمالكية بقرابة ستة قرون تقريباً. ذلك أن أتباع يهوه لم يحوّلوا عقيدتهم إلى الديانة التي نعرفها اليوم، إلا بعد تدمير الهيكل سنة 70 ميلادية على يد الرومان، وما تبعه من هزيمة للثورات اليهودية في القرنين الأول والثاني الميلادي. هنا كان لسحق ثورة بار كوخبا سنة (132 م – 135 م) في فلسطين نهاية المجتمع اليهودي المتمرد، وانكسار شوكته. هذه الهزيمة دفعت اليهود إلى إنتاج أدبهم العقائدي التلمودي في فلسطين وبابل، عبر إنتاج فقهي تراكمي غيّر اليهودية كعقيدة إلى الأبد.

«وإذن لأمة الغرباء أن تنهض!
نسافر كالناس، لكننا لا نعود إلى أيِّ شيء... كأنَّ السَفرْ
طريق الغيوم. دفنَّا أحبّتنا في ظلال الغيوم وبين جذوع الشجرْ
وقلنا لزوجاتنا: لِدْنَ منَّا مئات السنين لنكمل هذا الرحيلْ
إلى ساعةٍ من بلاد، ومتر من المستحيلْ
لنا بلد من كلام. تكلّمْ! تكلّمْ! لنعرف حدّاً لهذا السفرْ»
[محمود درويش]

محمود درويش، كفرد وكفلسطيني، كتب قصائده كسليل حضارة غرباء، والغربة في تراثنا جمر ثوري، يتوهّج كقصائد وآيات، أنبياء، شهداء، أوطان تنهض، تثور، وتحترق، كتابات، وأناشيد، أساطير وتواريخ، أبطال وزهاد، كل ما مرّ وأكثر جمرنا الوهاج في عتمتنا لترى القادم! محمود درويش في قصيدته تلك يعلن غربة شعبه عن هذا العالم، كأنهم في سفر بلا نهاية! وبعد سلب وطنهم، لم يعد لهم وطن سوى الكلام، علّه يعوّضهم عن الوطن! الإسلام وصفه بعض المستشرقين، كمغامرة غنوصية عظمى، ما تراه ليس ما يبدو لك، كأغلب قصائدنا وأغانينا الأصيلة! فأنت هنا كبغدادي أو حلبي ينشد أغنية «فوق النخل فوق»، هل هو خلّ لنا فوق، أم لمع القمر فوق النخل هو؟ المعنيان صحيح، والغريب منا يذوق المعنيين. وهي كذلك قصائد مظفر، وأغاني وأشعار ريف جنوب العراق، كل قصيدة أصيلة لها معنيان، معنى باطن ومعنى ظاهر، وهذه تسمى لدينا حسجة (الجيم تنطق ك ch)! وكذلك هي مقاومتنا بقدر ما تظهر لك حريصة على الشهادة، لكنها تشتاق إلى الحياة العزيزة أكثر!

يذكر الجيل الأقدم منا ممّن عايش الحرب الأهلية اللبنانية، شيوع مصطلح الغرباء على كل الفلسطينيين والسوريين، ممن كانوا جزءاً من تلك الدراما المسلحة. ومن المؤكد أن أطلق هذا الشعار كمن جلب النحس لنفسه، حيث لم يكن في حسبانه أن قوة متينة صلبة للغرباء ستنهض من أشلاء الضحايا ورماد الخراب! كانت تلك المقاومة الإسلامية، التي ستعرف بحزب الله!

المقاومة تلك كانت مقاومة الغرباء، ليس بالتوصيف اليميني الانعزالي فحسب، ولكن حتى بتوصيفه النبوي أيضاً، وهذه لكم هنا حسجة أخرى! فالغربة كانت وما زالت عنصراً أصيلاً من عناصر الإسلام، كثورة كامنة، كغربة زين العابدين والباقر في المدينة، وغربة الخميني في النجف! حقيقة لطالما فهمت الإسلام كعلماني غير متدين مطلقاً، كثورة اجتماعية كما وصفها بندلي جوزي (توفي 1942 م)، وهو المستشرق السوفياتي ذو الأصول الفلسطينية، والذي خرج من عباءته هادي العلوي، الماركسي الذي دلّني على التراث العربي الإسلامي.

فهذا مسلم بن الحجاج (توفّي 875 م) في صحيحه، ينسب للنبي محمد، مقولة بديعة وهي: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء» (صحيح مسلم، ص 130). يشرح لنا أحمد بن حنبل (توفّي 855 م)، أن الغرباء هم «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِل»، والنزاع هم من يهجرون قومهم طلباً للحق والإصلاح، وأشهر نزيع أو نازع في تراثنا الديني هو إبراهيم الخليل، الذي سار على نهجه النبي محمد بهجرته (راجع موقع صفحة مجموع فتاوى ابن باز جزء 3، باب بدأ الإسلام غريباً). الغرباء هنا حسب توصيف ابن حنبل من يهجرون قومهم أو يتغربون ليصلحوا حال الناس! يفهم من كل هذا أن الإسلام بدأ غريباً، كثورة ضد فساد النخبة الجاهلية بمكة، وسيعود غريباً كثورة على الاستكبار والفساد، كما حصل مع تجربة الإمام الخميني.

الظلم الطبقي، التعسف الطائفي، والغطرسة الإسرائيلية مع سكان جنوب لبنان وغزة أوجدت أمة الغرباء، التي شكلت مقاومتها المسلحة، وهي بذلك تحيي دور الإسلام وهويته كمشروع إصلاح وثورة على الفساد والظلم. وحدها الصدفة التاريخية تفسر لنا لماذا تفتقت قريحة الإبداع اليميني في لبنان لوصف المناضلين بدورهم كـ«غرباء» لا يشبهون بقية لبنان الذي أجرم سفاحو اليمين لدوامه. رجال حزب الله ونساؤه الأوائل كانوا غرباء كالمهاجرين والأنصار يوم بدر، لكنهم اليوم أمة تتسع، من خراسان إلى اليمن.

جبهة المقاومة أم المحور؟

في تصوّري، وعلى الأقل في ما يخصّنا وعالمنا، أن لكل مدينة ولادة متأخرة! غزة هاشم لم تكن يوماً ذات دور مركزي في وعينا ومصيرنا وثقافتنا، لكنها اليوم تولد أمامنا كشرارة لنهضة أمّة الغرباء التي قد تضيء المنطقة من جديد. والفقهاء المجاهدون الثوريون، يعيدون نفض هذه المنطقة كما فعل أسلافنا قبل أزيد من ألف عام!

لا يهم غزة إن كانت اليوم قلب محور المقاومة أو جبهتها، لكني أرى، أن تعبير محور هو ترجمة لأدبيات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى والثانية، بنعت ألمانيا وحلفائها، بمحور البربرية والعدوان! هذا التعبير تمّ توريثه لنا كاستمرار لمحور الهمجية والدكتاتورية والشر!

ثقافة حلف الأطلسي، تعتمد هذا الإسقاط اللفظي والرمزي علينا، بغية تحقيق رغبتهم بإلحاق الهزيمة بمحور شر كما فعل أجدادهم في الحربين العالميتين. فهم، أي الحلفاء، وهي حالة حضارية منطلقة من تفاهات دولية، ضد مجموعة من الدول الآبقة التي ستهزم، يعبر عنها بمحور شر.

طبعاً لا يهمّ إن كان لقبك عنترة أو شيبوبا، فالسيف أصدق إنباء من الألقاب والنعوت، لكن برأيي المتواضع، أرى أن تعبير جبهة المقاومة أليق بنا من محور! فلقد انتهى ذلك اليوم الذي يرانا فيه عدوّنا أرقاماً ينعتها كما يشاء، فنرضى! مجاهدونا جميعاً هم حزب الله وجبهة مقاومة؛ وليس كحربنا هذه ما يعيد لنا آدميتنا، لنكون شخوصاً بأسماء، لها تاريخ، وثقافة متجذّرة، لا مجرد أرقام، ومحور شر يدحر!

* كاتب عراقي

(أ ف ب)

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4463

	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
1		■								
2			■							
3					■					
4						■			■	
5			■				■			
6				■		■				
7		■			■					
8								■		
9							■			■
10										

أفقيا

1- ماركة ساعات – 2- أحد أبناء ابراهيم الخليل – نهر إيطالي – 3- مراكبهم – ماركة سيارات – 4- تهيّأ للحملة في الحرب – مدينة بلغارية – 5- تقوى وايمان – كثير المال – صرخة بالأجنبية – 6- مشتاق – وقتي وظرفي – 7- يأخذه عنوة – للتعريف – 8- يبس الخبز – عاصمة أوروبية – 9- سعل – كبرى مدن اسكتلندا – 10- فيلسوف يوناني تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر

عمودياً

1- راهب روسي مشعوذ مارس سحره على القيصر الروسي نقولا الثاني وامرأته – 2- يكثر من شرب الماء – شاعر فرنسي راحل – 3- محرّمات – شعور – 4- من يعطي بدون مقابل – خشونة مع تقشّر تصيب الشفتين واليدين – 5- أجل – عائلة شاعر وكاتب فرنسي راحل – 6- نعم بالأجنبية – عائلة كاتب فرنسي راحل – مزج – 7- سلطان المماليك البرجيين عُرف بالملك الظاهر – أحرف متشابهة – 8- ورك – الأنبياء – 9- دولة أفريقية – رياضة التزلج بالأجنبية – 10- من الأشجار

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- كوكب الشرق – 2- روبن هود – فا – 3- رهو – قنال – 4- آسيا – برد – 5- لما – دوار – 6- ن ن – أسال – 7- ديوجينوس – 8- ما – ماهر – لو – 9- ف ف – ينبع – 10- كاظم الساهر

عمودياً

1- كرة القدم – 2- و و – سم – يافا – 3- كبريانو – فظ – 4- بنها – نجم – 5- أهو – يارا – 6- لو – هوانه – 7- شدق – اسوريس – 8- نبراس – نا – 9- قفار – لبّه – 10- الدف – أوعر

sudoku 4463

		8	2					7
4					5	3		
	6			3			4	
			9		4	7		6
	9						5	
2		1	5		8			
	1			7	2	4	9	
7			4					3
9		3	8					

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4462

8	9	2	1	5	4	6	7	3
6	3	7	9	2	8	4	5	1
1	4	5	7	3	6	8	2	9
3	6	8	5	7	1	2	9	4
4	2	9	8	6	3	5	1	7
5	7	1	2	4	9	3	8	6
9	5	6	4	8	7	1	3	2
2	1	3	6	9	5	7	4	8
7	8	4	3	1	2	9	6	5

مشاهير 4463

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيزيائي إيطالي (1905- 1989). نال جائزة نوبل عام 1959 لإكتشافه مضاد البروتون

1+4+9+10+3+2 = الخصم ■ 7+5+6+4 = عاصمة آسيوية ■ 8+4+11 = يأتي بعد

حل الشبكة الماضية: حمزة ابو فارس

طوفان الأقصى

طرابلس تشيّع شهداءها: هنا فلسطين!

(أ ف ب)

عبد الكافي الصمد

حضور القضية الفلسطينية وتجذّرها في عاصمة الشمال، عبّر عنهما الحشد الكبير الذي شارك أمس في تشييع الشيخين الشهيدين أحمد عوض (أبو بكر) وخلدون ميناوي، وشهيدين تركيين كانا برفقتهما هما بلال أوزتوك ويعقوب أردال. والشهداء الأربعة سقطوا الثلاثاء الماضي، عندما استهدفت مُسيّرة للعدو الإسرائيلي سيارة كانوا يستقلّونها، جنوب مدينة صور، مع نائب مسؤول حركة حماس في لبنان خليل الحَرّاز والشيخ سعيد صَناوي.

حضرت التشييع قيادات تمثّل غالبيةَ مكوّنات الساحة الإسلامية، ومفتي طرابلس والشمال الشيخ محمد إمام، مع حضور ضعيف

> **إطلاق النار الكثيف خلال التشييع أدى إلى سقوط 11 جريحاً**

لمشايخ دار الفتوى في طرابلس، رغم أنّ عوض شيخ «رسمي» يتبع للدار. كذلك شارك ممثلون لقوى وتيارات وأحزاب سياسية مختلفة، وحشد بشري كبير لم يردعه إطلاق النّار الكثيف الذي أدّى إلى سقوط 11 جريحاً، رغم الدعوات إلى عدم إطلاق النار، وهو ما فُسر على أنه محاولة من جهات سياسية وأمنية لإفشال التشييع وفرط عقده.

الحضور الكبير عكس أجواء التضامن التي تسود طرابلس منذ اليوم الأوّل لعملية «طوفان الأقصى».

أهالي المدينة تلقّوا بفخر خبر استشهاد عوض وميناوي، ومعهما في اليوم نفسه المصوّر في قناة «الميادين» ربيع المعماري، فعلت التكبيرات من مآذن المدينة، ووزّع مواطنون الحلوى في الشوارع ابتهاجاً.

كما أن هناك بعداً خاصاً بالشهيدين عوض وميناوي، لما لهما من حضور شعبي في المدينة. فالأول «يحمل فكراً وعوياً سلفياً غير متشدّد»، كما يصفه كثيرون ممّن يعرفونه، وله حضور بارز في العمل الاجتماعي والخيري، خصوصاً في المناطق الشعبية. فهو ابن منطقة ضهر المغر الشّعبية والفقيرة، ويسكن في محلة الزاهرية المجاورة، ويملك محلاً في سوق القمح الذي أعلن الإقفال ثلاثة أيّام حداداً. وهو كان فاعلاً في التيّار السلفي برئاسة الشيخ الراحل داعي الإسلام الشّهال، قبل أن ينفصل عنه ويلتحق بهيئة العلماء المسلمين وينتقرّب من رئيسها السّابق وأبرز مؤسّسيها الشيخ سالم الرافعي، إلى أن أصبح الإمام المساعد للشيخ الرافعي في مسجد التقوى.

ويحمل ميناوي فكراً دعوياً سلفياً مشابهاً. وكان قد أوقف على خلفية مشاركته في أحداث الضنية عام 2000، قبل أن يتوجه إلى جانب تقوم بها كتائب عز الدين القسام – فرع لبنان لدعم المقاومة في غزة، وقصدوا الجنوب للقيام بجولة في المناطق الحدودية، عندما تمّ رصدهم من قبل العدو قبل اغتيالهم بقصف سيارتهم بثلاثة صواريخ.

«فوارس الأناضول». وربطت الأربعة علاقة بمسؤولين وناشطين في حركة «حماس»، وقد أبدوا رغبة بالمشاركة في العمليات التي

حزب الله يشيّع شهيديْن والأسد يعزّي رعد

(علي حشيشو)

أهالي خليك

«ذكّرني بيوم التحرير». قالت غنوة خضر في محضر أهالي بلدتها كفركلا الذين عادوا إليها أمس، صبيحة بدء وقف إطلاق النار في قطاع غزة، والذي انعكس توقفاً للمعارك بين المقاومة وقوات العدو على حدود لبنان الجنوبية مع فلسطين المحتلة.

لقد تبدّل مشهد الطرقات المقفرة بعد تصعيد العدو الإسرائيلي عدوانه على منازل البلدة في الأيام الأخيرة، ما أجبر عشرات العائلات على النزوح بعد صمود تمسّكت به طوال شهر ونصف شهر. البعض عاد ليبقى إيماناً منه بأن الهدنة المؤقتة ستطول، وآخرون وضّبوا أغراضهم في منازلهم بحذر خشية من العدو الغدّار.

الطريق من كفركلا حتى العديسة المكشوفة أمام مواقع المطلة ومسكاف عام المعادية، استعادت زخم سالكيها نحو البلدات المجاورة ورواداها الذين يلتقطون الصور ويخلفهم المستعمرات. امتلأ أهل الجنوب بالبهجة كأنها أيام العيد الكبير. كانت العديسة تلملم آثار الغارة التي استهدفت الحرج المشرف على الساحة، محدثة أضراراً في المنازل وواجهات المحال وخزانات المياه والألواح الطاقة الشمسية. الفرح الممزوج بالخوف تملّك أبناء بلدات رب ثلاثين وحولا ومركبا قبل دخولهم إليها. تقدّموا بحذر من أحيائهم، وهم يتمنّون ألا تكون بيوتهم من ضمن المنازل التي تعرّضت للقصف المدفعي والغارات الجوية التي تزايدت في الأيام الأخيرة.

ساحة محيبيب كانت ملتقى الأحبة. مقاومون عادوا من الجبهة في استراحة محارب إلى بلداتهم. هنأ أم عادت من نزوحها القسري التقت صدفة بابنها العائد من القتال. وهناك مقاوم ذهب لتفقّد منزله، فوجده قد تعرّض للقصف.

أما عيتا الشعب فقد غضّت شوارعها بطوابير السيارات العائدة، في مشهد أعاد الناس بالذاكرة إلى ما حصل بعد وقف عدوان تموز في عام 2006. علماً أن البلدة، جمعت الحشود الكبيرة خلال أيام القتال الماضية لتشييع حسين بأجوق، أول شهدائها على طريق القدس. أمس، وإن لم تبدأ الهدنة، كانوا سيعودون أيضاً لتشييع شهيدهم الثاني على طريق القدس يوسف جواد. معادلة الردع التي فرضتها المقاومة، سمحت لأهالي عيتا الشعب كما يارون ومارون الراس وميس الجبل وبليدا ... بدفن موتاهم وشهدائهم في اليوم نفسه. فيما كانوا في عدوان تموز 2006، يدفنونهم وديعة في صور وسواها. صوت مُسيّرة التجسس كان منخفضاً فوق الحشد الضخم الذي تجمّع في ساحة البلدة. بعض العائدين صلّوا على النعش وآخرون تفقّدوا الحسينية التي استهدفها القصف. ومنهم من استشار «الشباب» أو المقاومين، إن كانت ستُفرش أرضية منزله بالسجاد وتُجهّز الصوبيا لأن الهدنة ستدوم أم أنه ستضطر مجدداً للنزوح.

في راميا المجاورة، سُجلت نسبة عودة أقل. لا يملك أهل راميا منذ الأربعينيات ترف الاختيار في الصمود أو النزوح. الموقع الإسرائيلي المشرف بشكل مباشر عليها لا يزال يؤرق الكثيرين. في أيام الاحتلال، كان الجنود الصهاينة يتلذّذون بقهر الأهالي يومياً. عبر مكبّر الصوت، كانوا ينادون عليهم بالاسم، يهدّدونهم ويرعبونهم. فضّل الكثيرون الانتظار حتى يوم غد لاختبار الهدنة. لكنّ كاميليا بسام سارعت بالعودة لتفقّد محصول التبغ الذي تركته في المخزن منذ أول أيام العدوان. القصف اليومي على راميا منعها ومنع مزارعي التبغ من العودة لنقل محاصيلهم وبيعها لـ«الريجي». وجدت كاميليا تبغها مهترئاً. مع ذلك، قررت أن تسلمه لـ«الريجي» ورزقها على الله.

في هذه الأثناء، شيّع حزب الله الشهيد الشيخ علي شبيب محسن في بلدة حاريص الجنوبية في موكب حاشد، جال شوارع البلدة، وصولاً إلى جبانتها. وفي مشهد مماثل شُيّع حزب الله وأهالي عيتا الشعب الجنوبية، الشهيد يوسف جواد.

كما واصل رئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد، استقبال المعزّين باستشهاد نجله. وقدّم السفير السوري السابق في لبنان مستشار وزير الخارجية للشؤون اللبنانية علي عبد الكريم علي، تعازي الرئيس السوري بشار الأسد.

وفي السياق، أكّد نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، إن «أحد قادة حماس أكّد لنا أن كل البنية التحتية للمقاومة لم تُمس أبداً خلال كل هذه الفترة، وعندما تنتهي الهدنة إذا عادوا سنعود وسيرون منا ما لم يروه».

من جهتها، دعت قيادة الجيش المواطنين العائدين إلى قراهم إلى اتخاذ تدابير الحيطة والحذر من مخلّفات القصف المعادي ولا سيما الذخائر الفوسفورية والذخائر غير المنفجرة، وعدم الاقتراب منها وإفادة أقرب مركز عسكري عنها، كما دعت إلى الالتزام بإجراءات الوقاية المعمّمة من قبل الجيش في هذا الخصوص.

«حماس» تحقّق في كيفيّة اغتيال العدوّ لمجموعة القسّام

شيّعت حركة «حماس» في مخيم الرشيدية، أمس، القائد في «كتائب القسام» خليل حامد خرّاز (أبو خالد)، الذي استشهد بقصف إسرائيلي استهدف سيارته، الثلاثاء الفائت، جنوبي صور. وكانت الحركة قد نعت في بيان منفصل في اليوم التالي لاستهداف القائد القسامي أربعة شهداء بـ«قصفٍ صهيوني غادر على جنوب لبنان»، هم: اللبنانيان: أحمد عوض وخالد ميناوي، والتركيان: بلال أوزتورك ويعقوب أردال. ورغم أن الحركة لم تعلن استشهاد الخمسة معاً، ولم تحدد مكان استشهادهم، إلّا أن عناصر «الدفاع المدني» أكدوا بعد استهداف سيارة القائد القسامي انتشالهم خمس جثث.

وتبيّن بنتيجة التحقيق الأوّلي أن اللبنانيَّين، وهما من طرابلس، والتركيَّين، لم يكونوا في مهمة عسكرية لمصلحة «حماس» أو «كتائب القسام» التي يشغل خرّاز «منصباً مهماً» فيها. إنّما هم أصدقاؤه وحلّوا ضيوفاً عليه. وفي يوم الاستهداف، خرجوا بصحبته من مخيم الرشيدية وتوزعوا بين سيارته وسيارة أخرى. وقد كانت المحطة الأولى في مطعم عند مفترق الحوش، في ضواحي صور الجنوبية. وهناك، وفق شهود عيان، اقترح خرّاز أن يصطحبهم في جولة في جنوبي صور، ليُريهم الأماكن التي تُطلق منها الصواريخ من فصائل المقاومة الفلسطينية باتجاه فلسطين المحتلة.

ووفق التحقيق الأولي، فإن خرّاز لم يأبَه بنصيحة مرافقه عدم الذهاب في ذلك الاتجاه، بسبب الظروف الأمنية. وأصرّ وطلب من نجله ومرافقه أن يستقلّا سيارة، على أن يقود هو سيارته بنفسه مع ضيوفه الأربعة. توجّه خرّاز باتجاه سهل جنوبيّ صور وانحرف شمالاً عن الطريق العام بين صور والناقورة، نحو طريق فرعية من مزرعة المعلية تقود إلى وسط بلدة الشعيتية جنوباً وإلى القليلة شمالاً. وقبل وصول السيارتين إلى وسط الشعيتية، قصفت مسيّرة إسرائيلية سيارة خرّاز من نوع «CRV»، بصاروخ قذف بها إلى البستان المجاور للطريق. ومن ثمّ قصفتها مجدداً بصاروخَين. وتبيّن للمحققين أن نجل خرّاز ومرافقه توفّيا فور قصف السيارة التي كانت أمامهما، وتردّدت شائعات في الرشيدية عن اعتقال «حماس» صديقاً للخرّاز، بتهمة إفشاء معلومات عنه للعدو الإسرائيلي. إلّا أن الجهات الأمنية المعنية لبنانياً وفلسطينياً لم تؤكد ذلك.

> **أهل الجنوب يحتفلون: صمدوا وغلبوا**

في الواجهة

قيادة الجيش برأس، أم برأسيْن، أم بلا رأس؟

على غرار الاستحقاق الرئاسي في الأشهر المنصرمة، يصعد اسم مرشح ويهبط بين فترة ومعه وفترة ضدّه. يستعاد في الأيام الأخيرة الصعود والهبوط في ما سيؤول إليه مصير منصب قائد الجيش قبل الوصول إلى موعد تقاعد العماد جوزف عون في 10 كانون الثاني المقبل

نقولا ناصيف

الأكثر مدعاةً وتبريراً للصعود والهبوط في مقاربة الانقسام على قائد الجيش، اصطفاف الأفرقاء بعضهم قبالة بعض آخر في محاولة فرض خيار بقاء العماد جوزف عون في منصبه أو التخلص منه. ليس ثمّة مخفيّ أو باطني في المواقف بين مؤيدي التمديد له ومعارضي بقائه في الميزة. ما يدور من حول الرجل أنه المشكلة عند فريق، وحلّ عند آخر، في اشتباك سياسي لا يمتّ بصلة بالضرورة لقيادة الجيش بالذات، مقدار دورانه من حول انتخاب رئيس جديد للجمهورية. المحسوب أن عون هو المرشح الجدي الوحيد في مواجهة ترشيح رئيس تيار المردة النائب السابق سليمان فرنجية.

قبل أيام قيل إن تمديد بقاء القائد في منصبه خُسم وأوشك إبصاره النور. سرعان ما انحسر وأبطأ وتيرته، قبل أن يخلفه خيار آخر قبل بدوره إنه محسوم وموشك على الظهور هو تعيين قائد جديد للجيش. خرج الخياران من ثمّ من واجهة التسابق ليمرّا في وقت ضائع منذ توقفت حكومة تصريف الأعمال عن الاجتماع قبل أقل من أسبوعين (الثلاثاء 14 تشرين الثاني). كلاهما الآن يتساويان . أو يكادان . في علامتَيْ صفر ومئة في أن. في لحظة يعلو الصفر الى مئة، وفي لحظة مماثلة تسقط المئة الى صفر.

ما يُعزى إليه الجمود في مسار استحقاق اليرزة بضعة معطيات:

أولها، وهو أحد الاحتمالات المرّة الجاري الكلام عليها لدى مراجع مؤثرة، مفادها أن تمديد ولاية القائد الحالي سنة، عبر تعديل قانون الدفاع في مجلس النواب، سيحمل رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، في صولد سياسي يجد هو ما يبرّره، على الطلب من وزير الدفاع موريس سليم استخدام صلاحيته المنصوص عليها في قانون الدفاع بإصدار قرار يكلّف بموجبه اللواء بيار صعب تسيير قيادة الجيش الى حين تعيين قائد أصيل. هي سابقة في قرار كهذا بعدما درج التقليد تبعاً للقانون على تولّي رئيس الأركان صلاحيات القائد في أثناء سفره او تغيّبه لأسباب صحية أو توزيره أو سواها. مقدار ما يقلّل البعض من وطأة تهديد كهذا، بيد أن ثمّة من يأخذه في طرف مقابل على محمل الجدّ.

قرار كهذا، ناهيك بالذهاب الى التمديد لعون، من شأنهما أن يرتدّا سلباً على المؤسسة العسكرية، إذ تصبح برأسين. كلاهما لا يعترف بالآخر. سيسارعان الى تبادل الطعن: قرار التسيير لدى مجلس شورى الدولة، وقانون التمديد لدى المجلس الدستوري. الأدهى في ذلك ما سينجم من يوميات الانقسام. كان لا يتعامل وزير الدفاع سوى مع القائد المسيَّر يرسل إليه المراسلات والبريد والتقارير، ولا يتلقى نظيرها إلا منه رافضاً الاعتراف بوجود قائد سواه، بينما القائد الممدّد له يصبح بلا وزير للدفاع. في الأصل الانقطاع بينهما مستمر منذ وقت غير قصير. ويتصرّف بإدارة الوزارة والقيادة معاً.

الأكثر خطورة بين القائدَيْن المفترض أنهما في منصب واحد مشوبَيْن بعيوب قانونية، وفي الوقت نفسه كبُشّي اللعبة السياسية، هو أيّهما له أن يأمر الجيش، وأيهما يطاع أو يصير الى التمرد عليه؟ أيّهما المهاب وأيّهما المنتقص الهيبة والاحترام؟

على أن باسيل، الرافض بقاء عون، منفتح على تعيين قائد جديد ويجد عندئذ أن لا عقبة في طريقه، مقدّماً ما يصفه تسهيلات: اقتراح وزير الدفاع . صاحب الاختصاص في تسمية قائد جديد للجيش . ثلاثة أسماء لمرشحين يصير الى الاتفاق على أحدهم، تنازله عن شرط توقيع الوزراء الـ 24 مرسوم تعيينه، مطلبه الأساسي الإستغناء عن عون.

ثانيهما، الموقف المعلن لرئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي واحد، هو التمديد للقائد الحالي بحجة علنية هي عدم ملاءمة تعيين خلف له قبل التمديد يوماً، وإلى الجانب الآخر منه في اليوم التالي. ما يقوله مسؤولو الحزب إن أيّاً من خيارَيْ تمديد الولاية أو تعيين قائد خلف لم يُحسم بعد وليس قريباً من الحسم حتى. لا يمانع الحزب في كلا التمديد والتعيين ما داما ينتهيان الى الخلاصة المرتجاة، وهي تفادي وقوع فراغ في رأس قيادة الجيش. أما ما يطلبه، فحصول «أفضل توافق» على أيّ منهما على أنه المخرج المناسب. إذذاك يدعمه حزب الله المتيقّن من استحالة قبول باسيل ببقاء عون في منصبه، وفي الوقت نفسه يأخذ في الحسبان رأياً مسيحياً تمثّله الكنيسة المارونية وكتل وشخصيات مسيحية رجّحت التمديد على التعيين. ما يجزم به الحزب، يوم الوصول الى 10 كانون الثاني 2024، أن ثمّة قائداً على رأس المؤسسة العسكرية: الحالي ممدداً له، أو جديد يخلفه، شرطه التوافق أولاً وأخيراً.

> **باسيل يلوّح بقائد مسيّر في مواجهة قائد ممدّد له**

المطلّع على موقف الحزب يسمع انفتاحه على خيار ثالث هو تعيين رئيس جديد للأركان يحلّ محلّ عون على نحو يُرضي فريقَي الاشتباك السياسي: يتولّى رئيس جديد للأركان صلاحيات القائد، يخرج كلا الفريقين لا أحد منهما رابحٌ ولا أحد خاسرٌ. يكون باسيل قد تخلّص من القائد الحالي، وفي الوقت نفسه يُستبعد تعيين قائد خلفٍ قبل انتخاب رئيس للجمهورية طبقاً للحجة المعلنة للفريق الآخر، من دون أن تكون بالفعل كذلك فقط في ظلّ التكد الماروني. الماروني المتبادل بين التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية.

مصدر العرقلة الرئيسية لتعيين رئيس للأركان في مجلس الوزراء هو صاحب الأمر الأول فيه ومرجعيّته الرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط.

رابعها، يصل الى أسماء مراجع وجهات مؤثرة كلام منسوب الى الأميركيين أنهم لا يمانعون في تعيين قائد جديد للجيش، ولا يتشبّثون بالضرورة بالقائد الحالي. ما يعنيهم ويلحّون عليه هو استقرار المؤسسة العسكرية وثباتها واستمرارها. موقف كهذا لم يظهر الى العلن أو رسمياً. لذا يُعدّ موقفاً غير نهائي. بيد أنه يذكّر بموقف الأميركيين من الحاكم السابق لمصرف لبنان رياض سلامة وقد أوحوا على الدوام بأنهم يحمونه، فيما الواقع أنهم كانوا يحمون الدور الذي يضطلع به مصرف لبنان وهو على رأسه.

انتخاب رئيس للجمهورية لئلّا يُفرض عليه، وبحجة مضمرة هي موقفاهما السلبي من باسيل. كلا الرئيسين يفضّل الوصول الى التمديد من منبر الآخر. بري ينتظر مجلس الوزراء حتى مطلع الشهر المقبل، ويرى صلاحية تأجيل التسريح عنده. وميقاتي يفضل إهدار الوقت تفادياً لما لا يسع حكومته في الدستور والقانون أن تفعله، وهو تأجيل تسريح عون بلا اقتراح الوزير المنوطة به الصلاحية وتوقيعه المرسوم، ولا حتماً التمديد الذي يتطلّب في مجلس النواب تعديل قانون الدفاع.

ثالثها، لم يعد خافياً موقف حزب الله على وفرة ما ينسب إليه أنه الى جانب

إعلانات رسمية

إعلان

تعلن وزارة المالية أنها وضعت قيد التحصيل جداول التكليف الأساسية لضريبة الأملاك المبنية، الصادرة في محافظة النبطية عن إيرادات الأعوام 2017 و2018 تكليف عام 2023، وتدعو جميع المكلفين لتسديد هذه الضرائب، مع الإشارة إلى أن المكلفين الذين لا يُسددون الضريبة المتوجبة عليهم يتعرضون لغرامة بنسبة مقدارها 1% شهرياً (ويُعتبر كسر الشهر شهراً كاملاً) لغاية تاريخ التسديد، وتسري هذه الغرامة اعتباراً من:

- انقضاء شهرين من تاريخ نشر هذا الإعلان في عدد الجريدة الرسمية الذي سيصدر بتاريخ 2023/11/23 للعقارات التي لا تزيد إيراداتها عن 20,000,000 ليرة لبنانية.

- اعتباراً من تاريخ انتهاء المُهلة الأساسية للتصريح للعقارات التي تزيد إيراداتها عن 20,000,000 ليرة لبنانية. تبدأ مُهلة الاعتراض على الضريبة المذكورة المُحددة بشهرين اعتباراً من اليوم التالي لتاريخ نشر هذا الإعلان أي في 24 تشرين الثاني 2023 وتنتهي في 24 كانون الثاني 2024 ضمناً.

عن مدير الواردات بالإنابة
عبد الحفيظ سويره
2023/11/14
التكليف 238

إعلان

إنذار صادر عن دائرة تنفيذ بعبدا مُوجه إلى المُنفذ عليهما: شركة دلتا للهندسة والبناء شرش بشخص المُفوض بالتوقيع عنها السيد مراد أنيس عيسى ومراد أنيس عيسى المجهولي محل الإقامة.

تُنذركم هذه الدائرة سنداً للمادة 408 و409 مُحاكمات مدنية بالحُضور إليها لتسلم الإنذار التنفيذي في المُعاملة رقم 2021/1086 المُتكونة بينك وبين خليل ريحان بخلال /25/ يوماً من تاريخ النشر واتخاذ محل إقامة مُختار ضمن نطاق الدائرة وإلا عُد قلمها مقاماً مُختاراً تتبلغون بواسطته كل الأوراق المُوجهة إليكم في المُعاملة المذكورة.

رئيس القلم
أنطوان الحلو

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 تشرين الثاني 2023 العدد 5070

هوامش على دفتر «الطوفان»

«دار الآداب»: فلسطين تعلّمنا

محمد ناصر الدين

تشارك «دار الآداب» البيروتية بمجموعة مميزة من الإصدارات الجديدة في «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» الخامس الذي أطلق «النادي الثقافي العربي» فعالياته أول من أمس الخميس. ليس مفاجئاً أن تتصدر قضية فلسطين، وسط الأحداث الراهنة في غزة، واجهة الإصدارات للدار الملتزمة بقضايا العرب الكبرى وأوّلها القضية الفلسطينية منذ تأسيسها على يد الراحل سهيل إدريس (1925-2008). نهج ثابر عليه من بعده ابنه الراحل سماح إدريس (1961-2021) في رؤية الدار ومجلة «الآداب»، إذ إن الزائر لصفحات الدار على وسائل التواصل الاجتماعي، أول ما يطالعه هاشتاغ «فلسطين تعلّمنا» أو «فلسطين روايتنا». تستعيد الدار مقتطفات من إصداراتها المتعلقة بفلسطين من «البئر الأولى» لجبرا إبراهيم جبرا، أو كتب إدوارد سعيد، أو «صناعة الهولوكوست» لنورمان فنكلشتين ومقتطفات من أعمال سحر خليفة وعدنية شبلية وناصر أبو سرور وغيرهم.

إصدارات ثلاثة تدور في فلك الحدث الفلسطيني ستكون حاضرة بقوة في معرض بيروت للكتاب، أولها رواية «قناع بلون السماء» للروائي الفلسطيني الأسير باسم خندقجي، التي تروي حكاية «نور» عالِمُ آثار يُقيم في مخيّم في رام الله، يجد ذات يوم هويّة زرقاء في جيب معطف قديم. تتخذ هذه الحادثة عند خندقجي منعطفاً سردياً يرتدي فيه البطل قناع المُحتل في محاولة لفهم وتفكيك الأيديولوجيا الصهيونية في تحوّل «نور» إلى «أور». وتتصاعد الحبكة في انضمامه إلى بعثة تنقيب في إحدى المستوطنات، تتجلى فلسطين المطمورة تحت التربة بكلّ تاريخها. خندقجي

محمد الخيّاط ـ «أبناء الأرض» (أكريليك على كتّان ـ 80 × 80 سنتم ـ 2023)

الذي سبق وأصدرت له دار الآداب رواية «خسوف بدر الدين» (2020) يدخل في روايته الجديدة حقل ألغام كبير في السياسة والتاريخ والجغرافيا، بين الهوية الأصلية والهوية الزرقاء والتصريح، بين السرديّة الأصليّة المهمّشة والسرديّة المزيّفة السائدة. الإصدار الثاني هو كتاب «الفلسطينيون والتحرّر: موقف مسيحي» لخريستو المر الذي يقدّم رؤيةً إنسانيّةً إيمانيّةً للموقف الواجب اتّباعه في قضيّة تحرّر الشعب الفلسطينيّ من الاحتلال ونظام الفصل العنصري الإسرائيلي في فلسطين. وإذ يقدّم الكاتب موقفاً من القضيّة الفلسطينيّة من منطلق الإيمان المسيحي، إلّا أنّ الكتاب كما جاء في نبذة الدار «ليس كتاباً دينيّاً بقدر ما هو كتابٌ في الترجمة الحياتيّة اليوميّة للإيمان في موضوع القضيّة الفلسطينيّة كونها قضيّة إنسانيّة. ولذا، فهو كتابٌ يستطيع الملحد، واللاأدريّ، والمؤمن من أيّ دين، قراءته والتفاعل معه لما يحتويه من رؤى إنسانيّةٍ تشدّد على محوريّة الإنسان والدفاع عن حياته كمقياسٍ لصدق مطلق أيّ إيمان، وضرورة الوقوف إلى جانب المظلوم من دون تردّد مهما كانت هويّة الظالم، خارجيّاً كان أم داخليّاً». ثالث الإصدارات هو كتاب «النكبة المستمرة» للروائي اللبناني الياس خوري، والافتراض الذي ينطلق منه هذا الكتاب هو أنّ النكبة لم تبدأ وتنتهِ في عام 1948، وإنّما هي مسارٌ بدأ في عام 1948، ولا يزال مستمرّاً حتى الآن: «تُعالج النصوص الوجوه المتعدِّدة للنكبة الفلسطينيَّة المستمرَّة، وتقترح رؤيةً جديدةً إلى المشروع النكبويّ الذي لا يمكن دحره سوى بالمقاومة المستمرَّة التي لم ولن تتوقَّف. في مواجهة النكبة المستمرَّة، ولدت المقاومة المستمرَّة، وفي مواجهة الغزو، يتمسَّك الفلسطينيُّون بأرضهم وكرامتهم وحقّهم في الحياة».

كما لم تنسَ «دار الآداب» توجيه تحية إلى مديرها الراحل سماح إدريس المثقف العروبي والمناضل والمؤسس المشارك في «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان». إذ أصدرت «قمر» وهي رواية لليافعين أنجز إدريس جزءاً كبيراً منها قبل وفاته، وأنهتها بناءً على وصيته الكاتبة فاطمة شرف الدين. المثقف المشتبك الذي ذاب في القضايا التحررية حتى النخاع، كان قد أشار في إحدى تغريداته الأخيرة إلى «قمر» الذي سيكون الشخصية التي ينطلق منها إدريس لمخاطبة الفتيان والفتيات بلغة عصرهم، منطلقاً من الحيل الذكية والطريفة للهرّ الذي تركته ابنته في عهدته بعد سفرها للدراسة في الخارج.

تطلق «دار الآداب» رواية «قمر» اليوم السبت بين الساعة الرابعة والسادسة مساء، ويوقع الإعلامي زاهي وهبي نيابة عن الروائي الأسير باسم خندقجي رواية «قناع بلون السماء» يوم الثلاثاء 28 نوفمبر عند الساعة السادسة مساء ـ في جناح دار الآداب A14 ـ مركز سيسايد . واجهة بيروت البحرية.

قتل الشاهد

بول مخلوف

تقف كاميرا المصوّر الصحافي ربيع المعماري بثباتٍ، متسمّرة في مكانها رغم الاغتيال الذي تعرضت له. العدسة مصوّبة على المسرح الذي تصوّره غير آبهة بالنيران المشتعلة المنبعثة من الكاميرا نفسها. كأن المسألة هي مسألة وقت مع ذاك الذي يُصوّر، وأنّ العين بالعين والانتقام قادم لا محالة.

لم يخطف الموت ربيع المعماري وزملاءه فرح عمر وحسين عقيل، بل قتلتهم إسرائيل بغارةٍ جوية استهدفتهم في جنوب لبنان، ليلتحقوا على إثرها بقافلة الشهداء الذين يبقون حاضرين رغم غيابهم. حتى كتابة هذه السطور، أكثر من ستين صحافياً قد استشهدوا جراء المجزرة الطويلة التي تمعن فيها إسرائيل بحقّ غزّة وكل من يقف إلى جانبها. وأثناء كتابة ما نكتبه الآن، أفاد الخبر العاجل الذي ورد للتوّ باستشهاد الصحافية الفلسطينية أمل زهد برفقة عائلتها جراء قنبلة سقطت من السماء وسوّت منزلها والأرض. قتل، قتل، قتل. التخصص بالقتل. القتل كإختصاص ستفتح له جامعات العالم أبوابها، مؤشرات العصر وأسهم وول ستريت جميعها تدلّ بأنه بات مهنة العصر.

قُتلَ ربيع المعماري مع أصدقائه قبل البث المباشر بقليل. كانوا يتحضّرون لنقل الصورة المزدوجة التي تشكّل المشهد. الصورة التي نواكبها متربّصين، منذ السابع من أكتوبر، أمام التلفاز. قنابل عنقودية ترمى على الأحراش مصحوبة بقصف عشوائي غايته القتل، مقابل صواريخ موجّهة على مراكز عسكرية في أراضٍ محتلة. كانت كاميرا ربيع المعماري شفافة تجاه الحدث، تنقل فعل الجريمة وفعل البطولة ولا تصنعهما مثلما يفعل المتسائلون عن سبب تواجده مع أصدقائه في جنوب لبنان (يبقى أنّ طبيعة السؤال استنكارية، وكل تنديد بتواجد ربيع المعماري وأصدقائه في تلك المنطقة هو دعوة للتخلي عن الأرض).

في إحدى مقالات هذا العدد، يكتب رياض ملحم عن خواء معنى إسرائيل، أو عن «لا معناها»، كون أيديولوجيا الاحتلال مُستمَدّة من أساطير واهية، من تصوراتٍ لا من معطيات، فهي بالتالي ضد كلّ حقيقة أي ضد كل واقع. ولأنها كذلك، فكل صورة غير هوليوودية تُزجّ تلقائياً في خانة الاستهداف. قُتلت كاميرا ربيع المعماري لأنها تنير حقيقة ما يجري، في الوقت الذي يصرّ الاحتلال على ارتكاب مجازره بالسرّ، في العتمة، من دون أن يراه أحد. في هذه الحرب الضارية التي راح ضحيّتها كثير من الصحافيّين، راجت مقولة تفيد بأنّ الصحافي الذي قتلته إسرائيل «كان ينقل الخبر، فبات هو الخبر». لكن استشهاد ربيع المعماري وأصدقائه ينوّهنا أن القصة أبعد من كونها خبراً بل تعود إلى المبتدأ، إلى البدء. ذلك أن الاستشهاد هنا يعيدنا إلى ما يقرّ به معنى الشهادة في اللغة. فالشهيد هو الشاهد على الظلم، الذي يشهد على الانحراف الذي يأخذه الحضور. إذاً ليس قتل الكاميرا انتفاء المشهد ولا موته، بل نقله من حيّز الفرجة إلى حالة الانغماس. إنه خروج الشاشة عن طورها والتورّط بشبحية القتل الذي لا يُنقل لنا كحدثٍ، بل كتهديدٍ يطاردنا. قتل ربيع المعماري وأصدقائه يعني أننا لم نعد مشاهدين بل شهوداً. هكذا، يستشهد المصور وأصدقاؤه الصحافيّون فداءً لموقفٍ صارم يشترط التمييز بين الفرجة والتماهي، بين أن تكون شاهداً لا مشاهداً. ماذا يقول لنا هذا الموقف الصارم يا ترى؟ يقول إنّ استشهادهم هذا هو بمنزلة بلاغ. الشهداء لم يعودوا وسطاء ينقلون المشهد ويبثّونه، بل دلائل على أنّ كل ما يخرج عن التزوير والصور الزائفة يلقى حتفه. ومن ضمن ما جاء في هذا البلاغ، كان ضرورة تبليغنا، بالقتل، القتل، القتل. القتل الذي يطارد فلسطين ومن يشهد على قتلها. لذلك علينا صياغة خبر استشهادهم من جديد تحت عنوان: «شهداء الشهود».

لقراءة ملحق «إنما»

(تصميم هاشم رسلان)

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 تشرين الثاني 2023
العدد 5070 السنة الثامنة عشرة
Samedi 25 Novembre 2023 nº 5070 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

حدّق في وجوهنا..
هذا الدم: فرح
وهذا الدخان: حمام.
ومن فوهة هذه البندقية: ينهمر السلام

(من كتاب محمود درويش «وداعاً أيتها الحرب، وداعاً أيها السلام» 1974)

امير حازم ـ «متحدون» (طباعة فنية ـ 60 × 60 سنتم ـ 2020)

طوفان الأقصى

أمين معلوف ووجدي معوّض... «خيانة المثقفين» حفاظاً على الامتيازات

اسقط امين معلوف المسالة الفلسطينية واعتبر ما يحدث في غزة انعكاسا للتوازنات الدولية الجديدة

الحي أبو سمرة

مَن منّا لم يشاهد مرّةً شيئاً من الأجواء الاحتفالية اللاتينية؟! لعلّ لطفها لعبة Piñata، وهي مجسّمٌ خزفيٌّ أو قماشيٌّ أو ورقي زاهي الألوان، ينهال عليه المحتفلون ضرباً حتى يتهشّم، فيخرج منه محتواه من السكاكر والحلويات. يصحّ منذ السابع من تشرين الأول

> لا يصحّ في حالة أمين معلوف توصيف اختزاله لما يحدث، بمحاولة التسطيح الناجم عن قلة الدراية أو خيانة الكلمات

(أكتوبر)، إسقاط تشبيه لعبة Piñata -مع شيءٍ من التعديل- على صورة بعض النُّخب والشخصيات العامة في أذهان كثيرين ممن ينساقون - عن قلّة فراسةٍ أو طيب نيّة - وراء سحر هذه الشخصيات وبريقها، شكلاً أو معرفةً أو نتاجاً أو فكراً أو حتى كاريزما. لكنّ الأمر لا يتطلّب سوى «خَضّة ميكانيكية»، بسيطة أو صدميّة، حتى يتهشّم المجسم، لا لتخرج منه السكاكر والحلويات أمام عيون شاخصةٍ مستمتعةٍ بالحدث، بل وسط حالةٍ من الصدمة أمام تحوّل ما كان قبل لحظاتٍ بُنيةً متماسكةً براقةً جذابة، إلى هشيمٍ أو مسحوق، سُكّريّ بتكوينه ربما، لكن لن يعود ذلك مهماً لمن اختبر هذا المشهد والشعور المترافق معه البتة.

في هذا السياق، لم يكن استثناءً في عيون بعضهم ما تفوّه به أمين معلوف، الكاتب والأديب اللبناني الفرنسي المرموق الذي نال أخيراً منصب الأمين العام الدائم للأكاديمية الفرنسية، أو وجدي معوّض، الكاتب المسرحي اللبناني الكندي ومدير مسرح «لاكولين» الوطني في باريس. لسنا هنا في صدد نبش دفاتر الماضي وإعادة تناول مواقف أو آراء، أو حتى أفعال نافرة لأيٍّ من المذكورين في ما يخص ما يُسمى في البيئة الحاضنة لهما «الصراع الفلسطيني الإسرائيلي»، إذ سنجد لكلٍّ منهما ما يكفي لتنهار صورتهما في عينيّ من لا يزال يُكنّ لمسيرتيهما ونتاجهما شيئاً من الاحترام. يكفي النظر إلى الموقف المعلن لكلٍّ منهما حيال ما تشهده فلسطين وأبناؤها منذ السابع من أكتوبر لتغدو صورتهما هشيماً تذروه نسمةٌ عابرة.

أما وجدي معوّض، فيشرح موقفه بقلمه في مقال نُشر في صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية (بتاريخ 9 تشرين الثاني/ نوفمبر). وكما أن مسرحياته تسبر عميقاً الصندوق الأسود لذاكرة الطفولة البعيدة، وأثرها على لاوعي الإنسان وأفعاله بالغاً، من دون أن تغيب الحرب الأهلية اللبنانية عن أيٍّ من أعماله، مباشرةً أو موارِبة، ولا ذكر مجزرة مخيم صبرا وشاتيلا، فكان برأيه قصاصاً عادلاً أمام اغتيال بشير الجميّل، إلا أنه لم يُترجم لحظة اليقظة واستفاقة الوعي تعاطفاً واصطفافاً مع الضحية، بل كانت، للأسف، مع الجلاد، إذ يرى في «مليشيات حماس» رمزاً لـ «قوى الظلام المجنون» التي، فضلاً عن «فظائع أعمالها من خطفٍ وتدمير يدفع المدنيون الفلسطينيون ثمنه»، فإنها «تغذي نبتة الكراهية تجاه السامية» على نحوٍ سيغدو معه مقبل الأيام «خوفاً ورعباً ونفياً وشتاتاً، بل مقبرةً، لكلّ يهودي».

أما أمين معلوف، فقد ظهر في مقابلةٍ على قناة «فرانس 24» بالعربية، عُرضت يوم 11 تشرين الثاني (نوفمبر)، وتمحورت حول كتابه الأخير «متاهة الضائعين – الغرب وخصومه». استهلّها محاوره وسيم الأحمر بالتعريف عن الكتاب بأنه تحليل جذور عودة الحرب إلى أوروبا مع الحرب الأوكرانية، لكنه تزامن أيضاً مع «حربٍ أخرى في الشرق الأوسط». من هذه الجملة بالتحديد، يُقرأ مسار المقابلة ذات الدقائق الثماني عشرة، التي لم تتطرق لهذه «الحرب الأخرى» إلا عَرَضاً ما لم يتجاوز مجموعه ثلاث دقائق، كان فيها معلوف شاد ناياً بنفسه وباصوله من أكثر الديبلوماسيين تمرساً في إخفاء ما يخالجهم من انطباعات أو مواقف أو مشاعر -لا سمح الله- أمام هول ما يعيشه الفلسطينيون منذ ما ناهز الأربعين يوماً، ما يجعل المشاهد يتساءل عن وجود أيّ مشاعر على الإطلاق. وكان جلّ ما اقترب به معلوف بنفسه ما يحصل استعماله كلمة «منطقتنا» للدلالة على الشرق الأوسط.

يرى معلوف أنّ ما يحدث في غزة هو انعكاسٌ للتوازنات الدولية الجديدة، والمواجهة بين الغرب من جهة وبين روسيا وإيران من جهةٍ أخرى، من دون أن يفوته أنّ أساس هذه «المواجهة» هو المسألة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي الذي بدأ قبل الحروب في التشبيهات الصورية، إذ شبّه تنامي شعور الكراهية بشخص يحمل حقيبة ظهر فارغة. هو لن يشعر بثقل إن قام أحدهم بإسقاط حجر وراء حجرٍ فيها، إلى أن تحين لحظةٌ مفصليةٌ ينوء فيها بثقل حمله. تطلبت هذه اللحظة لدى معوض حرباً وهجرةً وتمرساً بلغةٍ وفنٍّ، ودعماً وحباً وأسفاراً وخسارات.

وفي حين لا ينكر معوّض جهارةً أنه

اعتبر وجدي معوض «ميليشيات حماس» رمزاً لـ «قوى الظلام المجنون»

نشأ على كره الفلسطينيين، بل شعر يوماً برضى أمام ما حلّ بفلسطينيي مخيم صبرا وشاتيلا، فكان برأيه قصاصاً عادلاً أمام اغتيال بشير الجميّل، إلا أنه لم يُترجم لحظة اليقظة واستفاقة الوعي تعاطفاً واصطفافاً مع الضحية، بل كانت، للأسف، مع الجلاد، إذ يرى في «مليشيات حماس» رمزاً لـ «قوى الظلام المجنون» التي، فضلاً عن «فظائع أعمالها من خطفٍ وتدمير يدفع المدنيون الفلسطينيون ثمنه»، فإنها «تغذي نبتة الكراهية تجاه السامية» على نحوٍ سيغدو معه مقبل الأيام «خوفاً ورعباً ونفياً وشتاتاً، بل مقبرةً، لكلّ يهودي».

أما أمين معلوف، فقد ظهر في مقابلةٍ على قناة «فرانس 24» بالعربية، عُرضت يوم 11 تشرين الثاني (نوفمبر)، وتمحورت حول كتابه الأخير «متاهة الضائعين – الغرب وخصومه». استهلّها محاوره وسيم الأحمر بالتعريف عن الكتاب بأنه تحليل جذور عودة الحرب إلى أوروبا مع الحرب الأوكرانية، لكنه تزامن أيضاً مع «حربٍ أخرى في الشرق الأوسط». من هذه الجملة بالتحديد، يُقرأ مسار المقابلة ذات الدقائق الثماني عشرة، التي لم تتطرق لهذه «الحرب الأخرى» إلا عَرَضاً ما لم يتجاوز مجموعه ثلاث دقائق، كان فيها معلوف شاد ناياً بنفسه وباصوله من أكثر الديبلوماسيين تمرساً في إخفاء ما يخالجهم من انطباعات أو مواقف أو مشاعر -لا سمح الله- أمام هول ما يعيشه الفلسطينيون منذ ما ناهز الأربعين يوماً، ما يجعل المشاهد يتساءل عن وجود أيّ مشاعر على الإطلاق. وكان جلّ ما اقترب به معلوف بنفسه ما يحصل استعماله كلمة «منطقتنا» للدلالة على الشرق الأوسط.

يرى معلوف أنّ ما يحدث في غزة هو انعكاسٌ للتوازنات الدولية الجديدة، والمواجهة بين الغرب من جهة وبين روسيا وإيران من جهةٍ أخرى، من دون أن يفوته أنّ أساس هذه «المواجهة» هو المسألة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي الذي بدأ قبل الحروب الباردة بين أقطاب العالم، ومستمرٌ وله منطقه الخاص الذي لا يخضع للتوازنات الدولية فقط. اعترف معلوف بخيبته، إذ كان أحد أحلام شبابه أن «يسير الشرق الأوسط في الطريق التي سارت بها أوروبا» عقب الحرب العالمية الثانية، أي أن يتخطى المتخاصمون صراعاتهم كفرنسا وألمانيا وينهضوا بأنفسهم سوية. لم يتّجه الشرق الأوسط - بحسب معلوف - لأي حل، بل باتت مشكلاته تطال العالم بوسعه بما فيه أوروبا.

لا يصحّ في حالة أمين معلوف توصيف اختزاله لما يحدث، بمحاولة التسطيح الناجم عن قلة الدراية أو خيانة الكلمات، فهو بشهادة الخصم قبل الصديق أبعد عن ذلك بأميال. لا تنقص أمثال معلوف طلاقة اللسان ولا سعة المعجم ولا فن اختيار الكلمات ولا مهارة تطويعها، وإن سلمنا جدلاً بما يقتضيه منصبه من ديبلوماسية في إدلاء التصاريح (تسقط كل المناصب أمام الجرائم بحق الإنسانية). إن كلّ هذا وأكثر سيف ذو حدّين في حالة أمين معلوف، بل يغدو السيف قاطعاً في غمده إن لم يُستخدم حين تدعو الحاجة. اختتم المُحاور المقابلة مع معلوف باقتباسٍ من كتابه: «لم يفُت الوقت للخروج من المتاهة. لدينا الإمكانات للخروج من المتاهة، لكن يجب الإقرار بأننا ضائعون». نعم، إنّ بعض النُّخب ضائع بالفعل! بل اختار أن يكون ضائعاً بقرار واعٍ، بالرغم من أن الدرب واضحٌ لا لبس فيه.

امتلك وجدي معوض من الجرأة ما يكفي للاعتراف بوجود نبتة الكراهية الساقة راسخةً متشعّبةً في كينونته، وهذا أمرٌ جيّدٌ بحدّ ذاته ويُحسب له. كما امتلك من الوعي ما مكّنه من تحديد «مستنقع السموم» بحسب وصفه، الذي تستمد منه هذه النبتة ماءها وغذاءها، ولعل هذا أمرٌ أجْوَد. ووسط حالة «العجز التام» التي يشعر بها أمام كل ما يحصل، خلُص معوّض إلى أنّه ينبغي أن يبدأ بنفسه، أن يؤثّر على نفسه، أن يطرح على نفسه جملةً من الأسئلة الوجودية من زمرة: من أنا؟ وكيف تؤثّر عليّ الأحداث الأخيرة؟ هو مدركٌ أنّ التغيير الجذري بات واجباً على الجميع، وأن التغيير الفعلي لن يكون ثمرة فعل فردي، بل هو أثرٌ جمعيٌّ تراكمي للأجوبة على كل هذه الأسئلة وما ستترتب إليه من أفعال.

حضرة المسرحي وجدي معوض... تحليلاتك سليمةٌ بمعظمها، أما ترجمة تحليلاتك، فتعاني من التيه الذي يمكن أن يُعزى - ولا يُبرّر - لامتيازاتٍ تخشى، أنت وغيرك، خسارتها في وسط يتجه نحو تجريم معاداة الصهيونية، لا السامية فقط. أن تبدؤوا بأنفسكم أولاً خطوةٌ ليست بسيطةً البتّة، لكنّ ذلك يتطلب إعادة ضبط بوصلتكم، أو استبدالها كلياً بأخرى لم يطلها بعدُ أيُّ مجالٍ مغناطيسيٍّ يحرف إبرتها. الحقّ بيّن والباطل بيّن. لستم مضطرين أن تكونوا محنّكين في السياسة، ولا أن تمتلكوا دراية أو معرفة أو مهارات تحليلية متقدمة، ولا يتقصكم بالمناسبة أيٌّ من ذلك، لتقفوا مع الحق، مع الضحية والمظلوم، دونما محاولةٍ منكم، علانيةً أو ضمنيّة، لإيجاد مبرراتٍ للظالم، أو مراعاة مشاعر المجرم. ضعوا أنفسكم أو أيّاً من أعزائكم للحظةٍ -ولن تكونوا- مكان ضحايا مجازر الاحتلال الإسرائيلي في مستشفيات ومدارس قطاع غزة، وأرونا إن كانت لتتغير مقارباتكم للأمور وما تفيضون علينا به من عِظات!

فيتنام ليست البداية ولا الجزائر النهاية
التاريخ يدور في فلسطين حتى عودة الأرض

غادة حداد

يتوسّط الراحل حسين منذر المسرح، توحّد البزة العسكرية أعضاء الفرقة. تلف أعناقهم الكوفية الفلسطينية. يفرح الجمهور، يهلّل ويبتسم، وفي مقدمته رئيس «منظمة التحرير الفلسطينية» الشهيد ياسر عرفات (أبو عمار)، وقائد الأجهزة الأمنية الخاصة في المنظمة الشهيد صلاح خلف (أبو إياد)، عند سماعه الفرقة تقول «تراب الدامور إللي بيشهد يا بيروت عالخسارة الصهيونية، وبخلدة خلدنا الوحدة يا بيروت لبنانية فلسطينية».

تلخص أغنية «اشهد يا عالم علينا وع بيروت» نضال صمود وبطولات المقاومة الفلسطينية واللبنانية في مواجهة «جيش» الاحتلال الإسرائيلي. أدت فرقة «العاشقين» الأغنية للمرة الأولى عام 1983 في مدينة عدن في جمهورية اليمن الديموقراطية (اليمن الجنوبي حينها). تسكن الأغنية في وجدان من عاصر تلك الفترة، وتنتقل إلى الأجيال الجديدة بحكم النوستالجيا. لكن اللافت مدى تطابق الأحداث مع ما يحدث اليوم في غزة، حين تقول الأغنية «سدوا المنافذ علينا في بيروت ومنعوا المعونة الطبّية... والطيارات غطوا السما يا بيروت والبحر جبهة حربية». وفي مقطع آخر، يردّد الكورس: «تمانين يوم ما سمعناش يا بيروت غير الهمة الإذاعية، بالصوت كانوا معانا يا بيروت، والصورة ذابت بالمي». منذ بداية عملية «طوفان الأقصى» والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، يقف العالم، وخصوصاً العرب مع فلسطين بالصوت، مستبدلين الإذاعة بإنستغرام وX (تويتر سابقاً). من يبحث في أرشيف المقاومة، يرى تشابهاً كبيراً في المواقف الفلسطينية باختلاف الفصائل المقاتلة. في حين تخلق هذه الاختلافات صراعات، قد تتخذ أشكالاً عنفية في واقع دولة مستقلة، إلا أنه في فلسطين تتلاشى الاختلافات أمام آلة الحرب والتهجير الإسرائيلية. بدورها، بقيت القرارات الإسرائيلية تجاه المقاومة على حالها. عام 1981، أعلن الكنيست الإسرائيلي قرار القضاء التام» التي يشعر بها أمام كل ما يحصل، خلُص معوّض إلى أنّه ينبغي أن يبدأ بنفسه، أن يؤثّر على نفسه، أن يطرح على نفسه جملةً من الأسئلة الوجودية من زمرة: من أنا؟ وكيف تؤثّر عليّ الأحداث الأخيرة؟ هو مدركٌ أنّ التغيير الجذري بات واجباً على الجميع، وأن التغيير الفعلي لن يكون ثمرة فعل فردي، بل هو أثرٌ جمعيٌّ تراكمي للأجوبة على كل هذه الأسئلة وما ستترتب إليه من أفعال.

حضرة المسرحي وجدي معوض... تحليلاتك سليمةٌ بمعظمها، أما ترجمة تحليلاتك، فتعاني من التيه الذي يمكن أن يُعزى - ولا يُبرّر - لامتيازاتٍ تخشى، أنت وغيرك، خسارتها في وسط يتجه نحو تجريم معاداة الصهيونية، لا السامية فقط. أن تبدؤوا بأنفسكم أولاً خطوةٌ ليست بسيطةً البتّة، لكنّ ذلك يتطلب إعادة ضبط بوصلتكم، أو استبدالها كلياً بأخرى لم يطلها بعدُ أيُّ مجالٍ مغناطيسيٍّ يحرف إبرتها. الحقّ بيّن والباطل بيّن. لستم مضطرين أن تكونوا محنّكين في السياسة، ولا أن تمتلكوا دراية أو معرفة أو مهارات تحليلية متقدمة، ولا يتقصكم بالمناسبة أيٌّ من ذلك، لتقفوا مع الحق، مع الضحية والمظلوم، دونما محاولةٍ منكم، علانيةً أو ضمنيّة، لإيجاد مبرراتٍ للظالم، أو مراعاة مشاعر المجرم. ضعوا أنفسكم أو أيّاً من أعزائكم للحظةٍ -ولن تكونوا- مكان ضحايا مجازر الاحتلال الإسرائيلي في مستشفيات ومدارس قطاع غزة، وأرونا إن كانت لتتغير مقارباتكم للأمور وما تفيضون علينا به من عِظات!

حسن منصارة . فلسطين

الاستسلام، وهي كفيلة بضرب وتخريب كل خطوات الاستسلام.
وإنها لثورة حتى النصر.

◀ 3 نيسان (ابريل) 1982

مقابلة مع خليل الوزير، ابو جهاد (الرجل الثاني في حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح») مع مجلة «المستقبل»:

إنّ العدو يستهدف من ممارساته الإرهابية ومن ضغوطه اليومية المستمرة تهجير الفلسطينيين من أراضيهم لزرع المستوطنات عليها.

نتيجة لتصاعد سياسة القمع والإرهاب الإسرائيليين، انفجرت انتفاضة شعبنا الفلسطيني في الداخل، لكي تقول للعدو إنّنا على صدوركم باقون، وإن هذه الأرض هي أرضنا، وهذا التراب هو ترابنا، وإننا لن نرحل، وإن الضغط يولد الانفجار.

إنّ أعداءنا كل يوم وكل ساعة يؤكدون رفضهم لمبدأ وجودنا كشعب له حقوقه الوطنية والإنسانية.

شعبنا مصمّم على أن يقاتل حتى ولو بالحجارة، حتى ولو بأجساده، وحتى ولو بقي وحده.

إنّ الثورة الفلسطينية ما هي إلا تعبير عن إرادة الشعب الفلسطيني في كل مكان، وبالتحديد المقاتلة في مواجهة العدو الصهيوني، وأي انتصار تحققه هذه البندقية يعمل على تعزيز صمود أبناء شعبنا.

إن نضالنا ليس من المفروض أن يكون نضالنا وحدنا، بل إن تشاركنا الأمة العربية به، لأنّ الخطر يُحدق خطراً علينا بل هو خطر على الأمة العربية جميعها.

إنّ ردود الفعل العربية يجب أن تتطور إلى عمل فعّال يدعم هؤلاء الذين يتصدّون بأجسادهم وبحجارتهم للاحتلال.

◀ 15 كانون الثاني (يناير) عام 1979

خطاب جورج حبش (امين عام الجبهة الشعبية) في الذكرى الثانية عشرة للانطلاقة الجبهة:

تبدأ المؤامرات وتستهدف ضرب الثورة الفلسطينية على أرض لبنان، وتشن الغارات الجوية والغارات البحرية والغارات البرية... ورغم كل ذلك، يبقى شعبنا مدافعاً عن قضيته العادلة وتبقى بندقيتنا مرفوعة رغم كل هذه المؤامرات. سنبقى أوفياء لصلب القضية، لجوهر القضية، نرفض الغزوة الصهيونية، مصممين على اقتلاعها من جذورنا، سائرين في طريق النضال والتحرير حتى تحرير كل مليمتر واحد من الأرض الفلسطينية.

ما الذي نتج من زرع البذرة الخبيثة، بذرة الصهيونية على الأرض الفلسطينية وعلى الأرض العربية؟ نتج من ذلك تشريد شعب بأكمله، نتجت من ذلك إقامة قاعدة للاستعمار، للإمبريالية. شعبنا يعيش هذه الحقائق. شعبنا يدرك هذه الحقائق، الصهيونية بالنسبة إليه ليست نظرية يقرأها في الكتب، الصهيونية بالنسبة إليه هي الظلم، هي العدوان، هي التشريد، هي التحالف الإمبريالي، هي التصدي لكل ما هو تقدمي في الأرض العربية.

لا سلم مع الصهيونية، لا تعايش مع الصهيونية.

إن ثورتنا الفلسطينية ستبقى مستمرة حتى تحقيق أهدافها الإستراتيجية.

في هذه المدة بالذات تخطّط الإمبريالية الأميركية لتعود إلى المنطقة للعربية ولمنطقة الشرق الأوسط.

نرى بوادر المناورات الديبلوماسية التي تسير في أكثر من منطقة بهدف أن تحقق هذه الهجمة عن طريق الديبلوماسية ما لم تحققه عن طريق السلاح.

نعلن منذ هذه اللحظة، إن ثورتنا وأن جماهيرنا سترفض كل الصيغ التسووية الإمبريالية.

يقولون (الأنظمة العربية) إننا نساند الشعب الفلسطيني، ويمررون البترول لأميركا، ومن أميركا لإسرائيل، نحن نطالب بمقاطعة جادة ديبلوماسية وسياسية وعسكرية واقتصادية وتغطية. نعرف أنه عبر سلاح النفط، يمكن فعلاً إسناد الثورة الفلسطينية ودفع الكثير من الأذى عنها.

◀ 7 تشرين الأول 2023

محمد الضيف (القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام)، أثناء إعلان انطلاق عملية طوفان الأقصى:

قررنا أن نضع حداً للانتهاكات الإسرائيلية.

بدءاً من اليوم ينتهي التنسيق الأمني مع الاحتلال.

اليوم يستعيد شعبنا ثورته ويعود إلى مشروع إقامة الدولة، و«طوفان الأقصى» أكبر مما يظن الاحتلال ويعتقد.

آن الأوان أن تتحد كل القوى العربية والإسلامية لكنس الاحتلال.

اليوم كل من عنده بندقية فليخرجها، فقد آن أوانها، ومن لم يستطع المشاركة في «طوفان الأقصى» بشكل مباشر فليشارك بالتضامن.

ندعو الجميع إلى متابعة التوجيهات والتعليمات عبر البيانات العسكرية المتتابعة.

يا إخوتنا في المقاومة في لبنان وسوريا والعراق وإيران هذا هو اليوم الذي ستلتحم به الجبهات.

◀ 14 كانون الأول 2022

محمد الضيف، تسجيل صوتي في الذكرى 35 لانطلاق حركة «حماس»:

إن القيادة الإسرائيلية فشلت - وهي في قمة قوتها - في استئصال الشعب الفلسطيني وطمس هويته.

القيادة الحالية لإسرائيل هي أعجز وأجبن من أن تنجح في ما فشلت فيه القيادة المؤسسة لإسرائيل.

ندعو إلى أن تتوحد كل الرايات، وتلتئم كل الجبهات وتفتح كل الساحات لتحرير فلسطين لهدف واحد وغاية كبيرة مقدسة، وهي تحرير فلسطين.

إن سألت ماذا يجمع منظمة التحرير بالجبهة الشعبية بحماس، الجواب غالباً ما سيكون عقدة حاجبين. تختلف الأيديولوجيا، ويبقى فعل المقاومة ثابتاً، كما المفاهيم: محاربة المؤامرة الغربية، صمود الشعب الفلسطيني، خطر المقاومة على الاحتلال، تهجير الفلسطينيين، توسع المستوطنات، القمع الإسرائيلي، الانتفاضة، الثورة، حقوق الشعب الفلسطيني، الإصرار على القتال، التخاذل العربي، المخططات الأميركية، الفشل الإسرائيلي في هزيمة المقاومة. في مقدمة كتاب «الثامن عشر من برومير لويس نابليون بونابرت»، كتب كارل ماركس مقولته الشهيرة «التاريخ يعيد نفسه مرتين، الأولى كمأساة، والثانية كمهزلة». أما في فلسطين، فالتاريخ لا يعيد نفسه، بل يدور في حلقات عنف وقتل وتهجير ممنهج. ربما ستجد «حماس» مصير أسلافها من حركات المقاومة، لكن سياتي تنظيم جديد حتماً، وأطفال اليوم سيصبحون مقاومي الغد. لم تكن فيتنام البداية ولن تكون الجزائر النهاية، وسيبقى التاريخ يدور في فلسطين، حتى تعود الأرض إلى أبناء الأرض.

طوفان الأقصى

الشاعر والروائي الأردني تيسير سبول (1939-1973)

تيسير سبول لم يعش ليرى «الطوفان»

قبل نصف قرن تماماً، سدّد الشاعر والروائي الأردني تيسير سبول (1939-1973) رصاصة إلى رأسه ليودع حياة بعمر الزهور اختتمها بقصيدة أخيرة: «أنا يا صديقي/ أسير مع الوهم/ ادري/ايفم نحو تخوم النهاية/ نبيّاً غريب الملامح/ امضي إلى غير غاية/ سأسقط لا بدّ/ يملا جوفي الظلام/ نبياً قتيلاً وما فاه بعدُ بآية/ وانت صديقي../ واعلمْ لكن قد اختلفت بي طريقي/ سأسقط لا بدّ/ هذي بعد اول قافلة/ اسقط يملا جوف الظلام/ عذيرك بعد/ إذا التقينا بذات منام/ نفيق الغداة وتنسى/ لكم انت تنسى/ عليك السلام».

عندما ينتحر اديب كتيسير سبول كانت حياته وكلماته كلّها كحدّ الخنجر، فإنه يأخذ احتجاجه على الظلم والهمجية والهزيمة إلى حدّه الاقصى: إنه انتحار يذكرنا بانتحار مايأكوفسكي خائباً من وعود الثورة وانكسار الحلم، وبانتحار خليل حاوي ببندقية صيد احتجاجاً على اجتياح الدبابات الإسرائيلية لبيروت، ليصحّ وصف الاديب السوري حيدر حيدر هذه النهاية: «اليد تنزع إلى السكين والرصاصة تنزع نحو القلب». جاء موت تيسير سبول في سياق هزيمة حزيران، وانكسار الشعراء المتشحين بالبروق مثله، وشفافية البحر، وطراوة البراعم التي تذوب في عاصفة. مات تيسير الحزين، الطفل التي كانت سوداوية ادبه بعد سقوط الشعارات الكبرى اشبه بشعلة ديناميت، وكانت مجازر ايلول الاسود اشبه بالصاعقة الذي اودى بالشحنة إلى الانفجار. لم يُقدّر لصاحب «أحزان صحراوية» و«انت منذ اليوم» أن يعيش ليرى بداية نهاية «عصور الظلمة» الذي فرضه العدو على الامة بالحديد والنار. ليرى اطفال الحجارة في فلسطين بعد عقد ونيّف من موته يجترحون المعجزة، وابطال المقاومة اللبنانية يسطرون ملحمة التحرير على ذرى جبل عامل، يرممون الشجرة الحزينة التي كُسرت اغصانها في قلب الشاعر. نعيد في «كلمات» نشر مقطع من «انت منذ اليوم» يصف فيه سبول كل همجية العدو وسقوط اكذوبة الصهاينة عن الحضارة والمدنية، ونحيي الاديب الراحل باستعادة كلماته الشفافة الجارحة، نضع على قبره باقة من الريحان الاخضر، وفاء لكل الايدي التي ثارت بالشجاعة نفسها للرصاصة التي سدّدها إلى راسه

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

في حزيران، في العاشر من حزيران هبطتُ إلى نهر الأردن لأرى ما الذي حدث لبلادي. على طول الطريق كانت السيّارات الحربيّة محطّمة محروقة. قبيل الوصول إلى النهر رأيتُ على قارعة الطريق بغلاً مقتولاً وكان منفوخاً بشكلٍ عجيب.

ثمّ رأيتُ الجسر المحطّم، ورأيتُ خليطاً من الناس، وكان هناك لغط. الآن لا أذكرُ كلمةً من كلّ اللغط. أجل، هناك أصوات وحركة لغير ما هدف واضح. لا يرى المرء ما الذي يُنجزُ هنا.

كان الجسرُ محطّماً بشكلٍ فظيع، إلّا أنّ أجزاءه ما زالت متماسكة. وكانت هناك امرأة تحاولُ العبور، وهي تتسلّق الحطام وتمسكُ بما كان مقبضاً للجسر. وكانت شديدة الخوف من أن تسقط. إنّني أذكرُ وجهها الصغير حتّى الآن. ورغم أنّني سمعتُ دائماً من يتحدّثُ عن صفرة الوجوه الخائفة، فلم يحدث أن رأيتُ وجهاً صغيراً كهذا مصفرّاً تماماً كقشرة ليمونةٍ من دون رواء القشرة. كان الناسُ ينظرون إليها بيأس ثمّ يتحوّلون.

وقفتُ على آخر نقطةٍ صالحةٍ للوقوف على الجسر. الآن أعرفُ أنّني كنتُ أبحثُ عن آخر شبرٍ ممّا تبقّى وطناً لي. وكنتُ حريصاً أن أقف على آخر جزءٍ يمكنُ الوقوف عليه.

رأيتُ النهرَ ورأيتُ قمم الجبال البعيدة. لم أرَ جنوداً.

وبحثتُ عبثاً. كنتُ واثقاً من أنّهم لا بدّ يرونني من هناك ولا أراهم. نظرتُ عبر الجسر. لم أعد أهتمُّ بالناس. رأيتُ الأرض ذات الرائحة الحارّة. كثيراً ما عبرتُ هذا الجسر إلى الضفّة الأخرى - هناك. وبدأتُ أنظرُ إلى المعالم الصغيرة: شجرة شوكيّة... حجرٌ عادي... تعمّدتُ أن أراها.

ثمّ انتبهتُ أنّني منزعجٌ طوال الوقفة. واستبنتُ رائحة كريهة ولم أجد مصدرها. ثمّ انسحبتُ خلفاً وانثنيتُ إلى الزاوية اليمنى. وازدادت الرائحة. هنا رأيتُ تحت مدخل مشبّكٍ جنديّاً ملقى بكامل ملابسه.

في طريق العودة صُعِدتُ بين الجبال حلّ الليل. كنّا نتحدّثُ بكلماتٍ قليلةٍ غير مستكملةِ المعنى. ربّما لطبيعة المكان أو لأنّه الليل. ربّما لسبب آخر لا أدريه. كانت الكلمات تدوي وكأنّما تسمعُ مضاعفة. ولم يحدث أن عرفتُ ليلاً كهذا. شيءٌ ما فيه كان يقرّبه من الليلة الأخيرة للبشريّة.

حاولتُ تقريب الأمر لنفسي، ولم أفهم. نطقتُ بكلماتٍ بصوتٍ عالٍ «هزيمة، هذا ما هي». ولم أفهم. ليست هزيمة بل شيءٌ آخر.

رأيتُ مرّةً في عرضِ الطريق قطّةً مدهومةً. الدم على أذنها وجانب من وجهها وهي تتحرّك في دائرةٍ لا يزيدُ قطرها عن متر، وعيناها في نفس الوضع وتظلُّ تدور. لم أدرِ ماذا كانت ترى وماذا كانت تريد.

وكان هناك مذياعٌ في كلّ مكان ولم أفهم لماذا يجبُ أن يتكلّم مذيعُونا بعد. وخُيّل إليّ أنّ المسألة كلّها سؤالٌ واحد: شعبٌ نحن أم حشية قش يتدرّب عليها هواة الملاكمة منذ هولاكو حتّى هذا الجنرال الأخير.

وما الذي يسمُّونه؟ - جيش الدفاع.

حتّى في هذا بطؤوننا. ويا لها من سخريةٍ. غثاثة وكذب. كلّ ما يقال غثاثة وكذب، لا أريد أن أراها ولا أن أسمعها.

إنّها لأشهر حربيّة باسم عصور الظلمة. إنّني أتحدّث عمّا أسدل في جمجمةٍ واحدة. وأعتقدُ أنّها مسألة ليلاً. وكان قد جمع في جسده كلّ مذلّات تاريخه فانتحب أكثر وسمع نفسه فازداد انتحاباً.

وبعد،

فقد آن لكلّ هذا أن ينتهي، كما تنتهي كلُّ حقارةٍ أخرى. قد يكون شعبي أحمق، تماماً كما يعرض المعرضون. وقد يكون أنّ شعبي ذهل إلى هذا الحد، وهم يضربونه، وظنّ أنّ الأمر كلّه لا يصدّق. وقد تكون مسألة شخصيّة بحت لمواطنٍ واحدٍ عكف على نفسه محاولاً أن يفهم موضعه من التاريخ.

كان معلّمنا يشرحُ لنا حكاية أوروبا كأنّه يراها. وكان يسمّي المدة ما بين القرنين الخامس والعاشر ميلادي «عصور الظلمة». وكان للكلمتين رنين غريب. واعتقدُ الآن أنّ مصدر ذلك الرنين هو الفخر. الفخر الإنساني الكلّي... فأنت حين تحقّر خمسة قرون كاملة وتختزلها بكلمتين مُذلّتين «عصورٌ مظلمة»، نفكّرُ من حيث تدري أو لا تدري بالنور.

عصور الظلمة، أي إنّه كان هناك نورٌ وانطفأ خمسة قرونٍ ثمّ عاد واشتعل وأنت فخورٌ بهذا.

(ما عسى أن يهمّني أمرهم؟)

عمّن يتحدّث الجنرال؟ عن شعبي وعنّي أنا. من الذي ساله الاهتمام بأمرنا؟

رأيته نافخ الصدر ورأيتُ عينه فاحتقرته. رأيتُ شعبي، رأيتُ الصحراء والجنود الهائمين عطاشاً ورأيتُ الصيف ورأيتُ جنود الجنرال يلوّحون بالماء ثمّ يخفونه ويضحكون. رأيتُ شعبي يسقطُ باسطاً يديه على الرمل الحار، ومحضته حبّاً عذباً ليس يكبره إلّا القسوة المرّة التي محضتْ نفسي وشعبي أشهر الظلمة الطويلة.

وليست المسألة أنّ الجنرال صغير كذبابة، بل إنّه قدرٌ كذبابة، ولا أنّ هذا الشعب محاربٌ أم لا.

(حاربوا أفضل من سنة 56... يتكرّم الجنرال فيقول).

ولكن المسألة في أنّه شعبٌ انتُدِبَ ليحارب من أجل أن يظلّ الرنين الغريب كما قال معلّم التاريخ للصغار: الفترة الممتدّة ما بين القرنين الخامس والعاشر الميلادي هي المعروفة باسم «عصور الظلمة».

المصدر: المصدر: «أنت منذ اليوم»، تيسير سبول، «دار النهار»، 1968

(علي شباني ـ لبنان)

قادمون

محمود درويش

انتظرنا أيّها العالم. انتظرْنا قليلاً. فإننا قادمون إليك.
مشغولون، الآن، ببناء الأيدي التي تصلُ إليك.
مُنكبّون، الآن، على تربية الأقدام التي تحملُنا إليك.
غارقون، الآن، في عمليّة تركيب الجسور التي يعبر عليها صوتُنا إليك.
انتظِرْنا أيّها العالم. انتظرْنا قليلاً. فنحن الآن نتعلّمُ المشي على الأرض. مرة أخرى، نتعلّم المشي. فلا تلعب كثيراً بالكرة الأرضية التي تهتزّ. لا تلعبْ كثيراً. فعمّا قليل يصير بوُسعنا أن نعيدَها إلى التوازُن - إذا شئت. وعمّا قليل يصيرُ بوُسعنا أن ندفعها إلى الانفجار إذا شئت.
نحن الآن نتعلّم فنّ المشي.

انتظرنا أيها العالم!
ها هو وجهنا يخرج من قاع النيل كحمامةٍ كانت تغرق.
وها هي يدنا تخرج من فرن الصحراء كتحية كانت تحترق.
وها هي روحنا تعود من السبي، ترتدي جسداً من قمح وشمس.. وتعود.

- متى تذكرتم، متى؟ يسألنا العالم.
- حين نسيتنا تماماً - نقول للعالم، ونواصل المجيء.
- ألا تعتذرون؟ يسألنا العالم.
-لن تعطينا المغفرة. إن موتنا وحده، هو الذي يأخذ شكل المغفرة. ونحن نعتذر.. نعتذر لأننا تأخرنا في الرحم، ولكن الولادة عسيرة في هذه الأيام، والجنود الغزاة يحاصرون مدخل الرحم. وأنت الشاهد المحايد أيها العالم.
- القابلة تأتي مع الجنين، من الداخل تأتي القابلة.. من الداخل. وها أنتم تعرفون.
- انتظرنا أيها العالم! انتظرنا قليلاً، فإن الولادة العسيرة، تملأ المدن ونحن قادمون إليك.
- تأخرنا.. تأخرنا لأننا كنا نبحث عن طريق آخر، ولم تُخبرنا أنّ دهاليز الدم الخصبة هي الدرب الوحيد الذي يُفضي إليك. لم تخبرنا أن باب الرحم هو فوّهة البركان.
.. في طريقٍ آخر، سقطت أيدينا في النيل.
وفي طريقٍ آخر وقعت وجوهنا في ليلٍ أغلقت عليه الباب.
وفي طريقٍ آخر، ضاعت دمشق المكان عن دمشق الزمان.
وشاع العقم.

● أيها العالم! لا تصدق أنها حرب.
- ما هي إذن؟ يسأل العالم.
- إنها إعلان الحضور. وإنها طريق الوصول إليك. فللحرية صوت يشبه صوت الحرب، لكنها تختلف تختلف. وإذا كنت حراً أيها العالم، أو إذا كنت تحب الحرية، ستدرك أنها ليست الحرب، ولكنها ضجة الحرية.

انتظرنا أيها العالم، انتظرنا قليلاً، فإننا نتعلم المشي على سطح الكرة الأرضية، ونعيدها إلى التوازن.
حدّق في وجوهنا..
هذا الدم: فرح
وهذا الدخان: حمام.
ومن فوهة هذه البندقية: ينهمر السلام على الأرض الحزينة.

المصدر: «وداعاً أيتها الحرب، وداعاً أيها السلام»، محمود درويش، 1974

اسماعيل شموط ـ «الطريق» (زيت على كانفاس ـ 79,9 × 59,9 سنتم ـ 1964)

طوفان الأقصى

محمد ملص يوثّق منامات الفلسطينيين: احْكِ منامك حتى أراك

خليل صويلح

كان علينا أن نشاهد شريط «المنام» بتوقيع محمد ملص مرّة أخرى، لنستعيد منامات الفلسطينيين في المخيّمات، وإذا بها لم تحد عن بوصلة البلاد سنتيمتراً واحداً لجهة الحنين إلى المكان الأول، فهذا الشريط الوثائقي الذي حقّقه المخرج السوري المعروف في عام 1987 وثيقة نادرة عن أحوال اللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يعوّضون الغياب القسري عن البلاد بزيارتها في المنام. في هذا العمل (45 دقيقة)، سجّل صاحب «الليل» نحو 400 منام، اختار منها 23 مناماً لشريطه، فيما أودع منامات أخرى في مفكّرة مستقلة. منامات الفلسطيني هنا تسافر ليلاً، تعبر الحدود والأسلاك الشائكة مثل طيور مهاجرة إلى قرى ومدن دمّرها الاحتلال الإسرائيلي، وبيوت لم تعد موجودة، لكنّها لم تغادر ذاكرة أصحابها لحظةً واحدة. لعل الأحلام هي الخزّان الاحتياطي لمخيلة هذا المخرج الاستثنائي، أو المادة الخام التي ينهل منها تذكاراته ومشاهده وسرده المحتدم، في إعادة بناء مدنه المفقودة، وانغماسه في حياة المخيمات الفلسطينية (شاتيلا، وبرج البراجنة، ونهر البارد، وعين الحلوة)، بتفاصيل شاعرية وحيّة ومؤلمة. كما يقدّم مقطعاً من أحلام اللاجئين الفلسطينيين في ظل الكوارث المتلاحقة والمخاوف التي تطارد هؤلاء البشر المخذولين، بحساسية حادة، كاشفاً عن هذا الجرح المفتوح، أمس واليوم.

جولة استطلاعية بين المخيّمات، وضعته في مهبّ الأسى الفلسطيني وجهاً لوجه، فلا مكان هنا للشعارات، إنما للمنامات التي تبزغ من وجدانهم الجمعي فقط. ما يوحّد هذه المنامات صورة فلسطين البعيدة القريبة، فالسفر إلى «البلاد» غير متاح إلا في المنام، إذ يأتي تعويضاً عن اقتلاع قسري مقيم في الضلوع. من مخيّم إلى آخر، ستتراكم المنامات، ما شكّل شريطاً نوعياً في محتواه ومقاصده البصرية، كما لن يهمل صاحب «أحلام المدينة» المخرج نفسه حيال أسئلة جديدة تتعلّق بنوع التحديقة التي تعكس الصورة المطلوبة، كأن يتحوّل السرير إلى تابوت، وأن تكون إحدى راويات المنام «جوكندا» الفيلم، أو أن يستعيد صورة أحد المقاتلين بيد مقطوعة على إثر انفجار. يكتب في يوميات التصوير: «أدرك اليوم أن ما شهدته وما صوّرته قد استغرقني وأخذني إليه أكثر مما استطعت أن أجرّه إلى الفيلم، أو أن أضمّه في عقد متماسك. أحسست أن الفيلم ما زال في روحي، لكنه أبداً ليس بين يديّ، وأن هؤلاء الناس قد ملؤوا الروح». ويتابع قائلاً: «في المنام ، شاهدت الصورة التي جعلتني أحسّ بأن عيني، لم تعد إلّا عدسة تطبق على نفسها، لتلتقط صور المنام... تأملت الصور وهي ترتطم على جدران الذات كخيوط رطبة ممزوجة بالغبار، كأنها دموع على خدّ امرأة غمست عينيها بالكحل الأسود».

يتوقّف التصوير مؤقتاً بضغط من جنون الطيران الإسرائيلي لحظة الاجتياح، وما أن تتاح الفرصة ثانيةً، حتى تدور الكاميرا مجدّداً.

نساله: المنام مفردة أساسية في معجمك الأدبي والبصري، وقد أنجزت فيلماً وكتاباً بهذا العنوان، ما هي ظروف كتابته؟ يجيب: «لطالما كان الروائي في موقع من يكتب حكايات الآخرين بما فيها الراوي نفسه، ولكن ماذا لو كان الروائي مروياً من الآخر؟ هذا ما فكرت فيه أثناء لحظة الكتابة. الآخرون هنا، هم بشر المخيم الفلسطيني في لبنان الذين حقّقت عن أحلامهم فيلماً تسجيلياً. هكذا أعدت صوغ هذه المنامات روائياً، كنت فيه أنا المروي لهم، ولست الراوي، وبمعنى آخر أن تقوم بتشريح محسوس لعالم حلمي، تكون صانعاً له تارةً، وضحية له طوراً، إذ تجعل من نفسك عبر الأدب شخصية روائية». تتمحور هذه المنامات عموماً، حول لمّ شمل الغائبين، وأحوال الفقدان، وعودة أسرى وشهداء بشكلٍ مباغت وفوقنا عصافير بتطير.

عمك للفنان الفلسطيني منذر جوابرة

سلوى2

شفت حالي بمقبرة واسعة، والدنيا عتمة، وكنت عم جر قبور من مكان لمكان، وبقيت جر قبور لحد ما غيّرت مكان المقبرة كلها.

فيصل

زي ما بيجكوا لنا أهالينا كيف نزّحوا من فلسطين بالثمان وأربعين، تماماً، شفت إنه إحنا، أهالي المخيم، راكبين بشاحنات وحاملين أغراضنا، بس قال راجعين على فلسطين.

بعد ما قطعنا «الناقورة» شفت بحيرة كبيرة، تطلعت وسألت أبوي عنها قال لي:

- وال يابا! هاي طبريا، مش عارفها؟!

حسيت لحظتها من كلام أبوي إنه انشرح صدري، وصرت أتطلع، وشفت من الشاحنة الماشية الأرض خضرا خضرا، وكلها شجر زيتون.

بالمنام، بس وصلنا على فلسطين، ما شفت إلا كل أهالي المخيم صاروا يتفرقوا، وصار كل واحد يروح على بلده...

يلي من حيفا راح على حيفا، ويلي من يافا راح على يافا...

شفت حالي بقيت لوحدي، وكل أصحابي يلي معاي بالمدرسة، راحوا.

شعرت بوحدة شديدة.

صرت أقول لحالي: يا ريت نرجع نحن يلّي عايشين بالمخيم نعمل بلد صغيرة، بلد أو قرية أو مخيم، يعني شيء زي شاتيلا يلي كنا عايشين فيه...

ورحت دوغري أدوّر على أصحابي تقول لهم:

تعالوا نعمر بلد بقلب فلسطين تجمعنا مع بعض وتكون زي المخيم! بس لحظتها فقت.

أم خليل

أجاني أبو خليل في المنام، وهو عم يقول لي: بدي أرحّلك يا مرا من هالبيت! قلت له: لوين يا أبو خليل؟

قال لي: إلى مكان ترتاحي فيه.. الحقيني!

تركت الأولاد ومشيت وراه. نزّلني بدرج طويل تحت بناية عالية. نزلت، ونزلت، ولّا بلاقي حالي في بيت، شو بيت! سبحان الله يلّي كوّنه بيت.

مليان «كنابايات» بعمري ما شفت مثلهن. وعلى كل كنبايا ورد طبيعي، أبيض وأصفر وأحمر.

تطلعت في هالبيت لقيت في بنت، الله والعليم إنها بنتي، أنا على فكرة في إلي بنت استشهدت ودائماً بهلوس فيها.

قالت لي البنت:

- اقعدي!

قعدت، تطلعت قدامي، شفت شباك، ووراء الشباك خضار فائصة، وشفت بوسط الخضار فدائية... كنت خايفة كتير، وخايفة إني كون مش ببلادي، فقلت لنفسي، ما دام في فدائية فمعناه نحن براضينا.

وفي الليلة مش هاي، يلّي قبلها، قال نايمة بين الجبال، والجبال خضراء، ووجهي «للقبلة». وفش معاي إلا هالولد الصغير (هو في حضنها).

أقول يا ربي وين أولادي الباقين؟ أروح أدوّر عليهم؟

وإلّا بقدرة الله بلاقي روزيت ووداد وتركية، هدول بنات جارنا أبو تركي، بلاقي هالبنات حاملين قرنبيط وملفوف.

سألتهم:

- من وين جبتوهم؟

ضحكوا وقالوا لي: من باب الله الكريم.

طب أعطوني شوي، ما أنا عيلتي كبيرة.

أجت تركية وقالت لي خذي، وهيّ عم تعطيني الملفوف قالت لي:

- يا أم خليل في قدامك طريق صعبة، يا ترى بتقدري تدخلي فيها؟

قلت لها:

- بدخل، بس خليكو وراي.. مش تتركوني!

وحياة هالنعمة يا جماعة إجيت دخلت بين الجبال، وكانّي شقيت الجبل ودخلت، ولّا شوف نور السما يملأ الفضا، والميّ تطفح من بين أجرينا، والأرض تنبع مي. وحياة الكعبة الشريفة ما بكذب عليكم. مين شفت لحظتها؟ شفت أبو فوزي البدوي، لابس أبيض، وباني مزار أبيض.

قلت لتركية:

- إنتو إمشوا! بس شوفولي الأولاد بطريقكم.

دخلت المزار لوحدي، لقيت تحت القبة في تلفزيون مفتوح على القرآن. جيت بدي أقعد، ما شوف إلا هالنار طالعة من كل مكان.

(بعد مرور سبع سنوات على رواية أم خليل لمنامها هذا... وصلتني رسالة شخصية تقول:

« ... وبتتذكر أم خليل وتركية وروزيت ووداد، بنات أبو تركي ؟! تلك المرأة السمراء الطويلة، الممتلئة قليلاً التي كانت ترتدي دائماً ثوباً فلاحياً أسود اللون ...

تذكرتها؟!

إن جميع أولادها قُتلوا في مجزرة صبرا وشاتيلا، ولم يبقَ منهم سوى ابنها الصغير.

أما هذا الصغير الذي كان في حضنها عندما روت لك المنامات، فقد استشهد في حرب المخيمات أثناء حصار شاتيلا.

أم خليل تسكن الآن في الحجر الأسود في سوريا، ابحث عنها إذا أردت».

لقد جعلتني هذه الرسالة أعيد قراءة منام أم خليل مرة واثنتين وثلاثاً...

حسن

بشوف حالي عم بركض على رمل، بركض، بس بضلني في مكاني، ومش قادر أتقدم لقدّام. وبشوف مرات شخص لاحقني بخنجر.. وبس يوصل لعندي بفيق.

في الأسبوع الواحد بشوف الحلم نفسه ثلاث أو أربع مرات. هلأ، الحمد لله، صار لي شي خمسة شهور ما عاد شفته.

الشخص يلّي لاحقني، ما بعرفه، لكن الرمل زي يلي فوقنا، على طرف المخيم.

وقت كنت سجين، كنت أشوف حالي بالمنام إني بره ... ولما صرت بره صرت أحلم حالي إني سجين.

وقت كنت في ألمانيا، كنت أشوف حالي راجع لهون بالبحر، ودايماً كنت أشوف الباخرة عم تغرق، والشنط بتضيع.

أحمد

حلمت أني رجعت على غزة.

بتطلع وبلاقيها متغيرة كثير عن ما نزحنا عنها في السبعة وستين. شفت حالي مالي عرفان كيف بدي أمشي وكيف بدي أعمل.

شفت باص ماشي، ركضت وتعربشت عليه. دخلت الباص، ما لقيت غير كرسي واحد فاضي، طبعاً رحت قعدت في الكرسي الفاضي، لقيت امرأة إسرائيلية عجوز جنبي، والباص كله إسرائيلية، وفش عربي غير أنا، شعرت حالي طلعت بالغلط.

فجأة تطلعت في العجوز وأمسكت بي وصرخت:

- عربي حرامي! حرامي!

كل باللي في الباص هبوا وأمسكوني وأخذوني على البوليس .

من وين جاي؟

من الأردن!

وين رايح؟

عند أهلي!

حطوني بالسجن .

بعد شوي إجاني بوليس ضخم ، قال لي:

- تعال! شو اسمك؟

قلت له: أحمد.

قال لي:

والله العجوز كانت نسيانة المصاري في البيت وبعدين وجدتهن ، أنت بريء من التهمة.

طلعوني من السجن، ولّا العجوز بوجهي.

ركضت العجوز علي وصارت تبوّس فيّ، وناولتني «شيك» مصاري.

انبسطت كتير، وأخذت الشيك منها، وركضت...

قال بدي أفوت أصرف الشيك ولّا أنا صاحي.

فايزة

أنا مرة شفت منام إني أنا وحربة هاي صديقتي راكبين بسيارة... السيارة زي البوسطة يلّي بيتاخدنا كل يوم من الدامور على المشغل، وبترجعنا كل يوم من المشغل على الدامور...

قال هاي السيارة فاضية، ما في حدا غيرنا أنا وحربة، والسيارة ماشية ومكانش فيها سواق. تمشي هالسيارة بأرض وعر، والبيوت حوالينا زي خيم للغجر. بعد شوي شفت هالسيارة عم بتفوت بزاروب، وبعدين عم بتفوت لغرفة فيها شباب مجتمعين. الشباب بس شافونا وقفوا وصاروا يتشاوروا وياشّروا علينا.

تطلعت إلى حربة مالقيتهاش، وشفت حالي وحدي. خفت، فعلاً خفت، لأني بعرفش حدا منهم. فتحت باب السيارة ونزلت ركاض، ولّا بلاقي قدام الخيمة اثنتان من النساء بدهم يمشوا...

قلت لهم: خذوني!

قالوا لي: لا!

قلت لهم: ليه؟

قالوا لي: لأنه طريقنا بده عشرين سنة ليوصلنا.

قلت لحالي: يا ويلي بعد عشرين سنة كمان!

فادية

مرة، شفت حالي بسجن قضبانه كبيرة، سودا، وكان في المنام ضباب كثير، وكان من بين الضباب والدخان يطلع بوجهي سجّان شكله بيذكرني بصور كتب التاريخ المدرسية، أو بتماثيل الآشوريين في المتاحف، يلّي كنا نقرأ عنهم بكتب الرابع والخامس في المدارس.

كان هذا السجّان يقرب مني ويضربني، وأنا أصرخ وأبكي، وهو يقول لي:

- اركعي!

وأنا أقول له:

- لا ! ما بركع، ما بركع!

وفي الأخير كان يطلّع فيّ ويقول:

- والله بدكم ذبح، بدكم ذبح!.

جمال

حلمت بالمخيم.

كان المخيم بالمنام صغير، والبيوت زنكو...

وإحنا واقفين في الزاروب، ولّا فجاة إنزال إسرائيلي علينا، والهليكوبترات فوقنا، والجنود حوالينا. شو بدنا نعمل؟ ما عرفت! ما بعرف كيف لقيت سكين بإيدي، فرحت وطعنت جندي إسرائيلي فيها. جيت بدّي أهرب، خفت ينتقموا من أهلي. فبقيت واقف، ولّا بتركض أختي وبتخطف السكين مني، وبتقول لي:

- اهرب يا جمال!

وبشوف أمي راكضة وبتخطف السكين من أختي وبتقول لها:

- اهربي يا جنان!

اختلفنا وصرنا كل واحد يقول للثاني لا أنت اهرب.

ونحن مختلفين ما شفنا إلا الجنود الإسرائيليين طخونا كلياتنا. شفت أختي ميتة، شفت أمي ميتة، وقمت من الحلم مرعوب وعرقان.

أم أمل

شفت طير عم برفرف ويحوم حوالينا، تطلعت شفت بنت عم تركض حواليه وتحطّ له ميّ وأكل... التفتت لأمي وقلتلها:

- يمّا ! شايفة هالطير كيف عم برفرف!

لما تطلعت أمي وشافت الطير والبنت، سمعتها تصرخ وتقول:

- هي بنتك أمل يلي ماتت! كنه أبوها راح لعندها... هذا الطير جوزك وهاي بنته. خلص يا بنتي، ما دام ما إجاش من بيروت معناته راح. ثاني يوم طلع الحلم حقيقي.

من فيلم «المنام» لمحمد ملص

طوفان الأقصى

الأساطيل

مظفر النواب

[في الرياح السيئة يعتمد القلب]

الأساطيل لا ترهبوها.
قفوا لو عراةً كما لو ولدتم،
وسدُّوا المنافذ في وجهها
والقرى والسواحل والأرصفة
انسفوا ما استطعتم إليه الوصول
من الأجنبي المجازف واستبشروا
العاصفة
مرحباً أيها العاصفةْ.

أحرقوا طغم القمع من خلفكم
فالأساطيل والقمع شيء يكمل شيئاً
كما يتنامى الكساد على عملة تالفةْ
بالدبابيس والصمغ هذي الدمى الوطنية
واقفةْ
قرِّبوا النار منها
لا تخدعوا أنها تتغير
لا يتغير منها سوى الأغلفةْ.

مرحباً... مرحباً أيها العاصفةْ
أيها الشعب أحش المنافذ بالنار
أشعل مياه الخليج، تسلَّح،
وعلِّم صغارك نقل العتاد كما ينطقون
إذا جاشت العاطفة
لا تخف. نصبوا حاملات الصواريخ
نصبوا جوعك. ضع قبضتك على
الساحل العربي
وصدرك والبندقية والشفة الناشفةْ

ربُّ هذا الخليج جماهيرهُ،
لا الحكومات، لا الراجعون إلى الخلف،
لا الأطلسي، ولا الآخرون وإن نضحوا
فلسفة.

لا تخف، إننا أمة،
لو جهنم صبَّت على رأسها، واقفة
ما حنى الدهر قامتها أبداً،
إنما تنحني لتعين المقادير إن سقطت أن
تقوم
تتمَّ مهماتها الهادفة.

يا حفاة العرب، يا حفاة العجم،
ادفعوا الهادر البشري المسلَّح
ضُكُّوا على عنق السفن الأجنبية
الوِوا مدافعها في ادعاءاتها الزائفة
حشِّدوا النفط
فالنفط يعرف كيف يقاتل حين تطول
الحروب
وقد يتقن الضربة الخاطفةْ

يا جنود العرب،
يا جنود العجم... أيها الجندُ
ليس هنا ساحة الحرب
بل ساحة الالتحام لدكِّ الطغاة
وتصفية لبقايا عروش
توسِّخ في نفسها خائفةْ

أيها الجند
بوصلة لا تشير إلى القدس مشبوهة
حطِّموها على قحف أصحابها
اعتمدوا القلب
فالقلب يعرف مهما الرياح الدنيئة سيئة
جارفةْ

هل أرى كلَّ هذا السلاح،
لقد داس متجها نحو يافا بنيرانه الجارفةْ.
جاء يوم الجماهير ما أخطأت إنها
بمقاديرها زاحفةْ.
ليس وعداً على ذمة الدهر،
غير الجماهير والعبقريات والعاصفةْ.

مرحباً أيها العاصفة
مرحباً، سيقوم من الجرح أكثر عافية
وطني
بجراحاته النازفة
دفنوه عميقاً فقام التراب به إذ تململ
فالقوَّتان هي القوة الخائفةْ.

صرت شوقاً مخيفاً
لكثرة ما اشتقت يا وطني
أن أحطَّ على كل باب خدودي وألثمها
ويدي مثلما شفتي هاتفةْ:
أيهذا الدم العربي لماذا هدرتْ،
وواجبك العسكريُّ فلسطين؟
أنت أجب، أيها الدم، يا سيد المعرفةْ.

أيها اليأس،
يا مثقلاً بالغرائز سمّاً على شفتي امتقعْ.
أيها الزبد الأرجوان الثقيل، على شفة
الملحدين،
بكل القبائل زدْ وارتفعْ.
رفرفي راية الحدس،
ردِّي الشجاعة للدهر، تستيقظ الفلتاتُ
وتعطي نبوءتها القاصمةْ.
اجمعي أمَّة الحزن، واستأمنيها المفاتيحَ
دهراً فدهراً
فمهما بدت للوراء تسير بها النكبات
هي الأمة القادمةْ.
شفتي امتداد لجرح بها كلما صاح
صحتُ.
فأمي هي النخلة الحالمةْ،
وأمي هي الأنهر الحالمةْ،
وأمي التي علَّمتني على الصدر،
آنئذٍ، علمتني على الطلقة الحاسمةْ.

وطني البدويَّ: نساؤك منهوبة،
ويباهي رجالك نصراً بأعضائهم فرحينَ،
فما زالت العاصمة!

تبَّ قوم زعاماتهم أرنب عصبيٌّ جبانٌ
وعزمهم خصية نائمةْ.
اسكتوا، فالحكومات في أستها نائمةْ.
لا، لا، فحكومتنا دون كل الحكومات،
فزَّت من النوم شاهرة سيفها،
وعلى صدرها ما تشاء من الأوسمةْ:
طعنتنا، وأشهد لله، مثل البقية مستزلمةْ.

يأسُ، يا سيد الموقف اعصف ودمِّر،
اقبِّل حزن يديك، اتقد...
طهَّر الشعب من لعنة الجبرْ
شمِّر، وذوِّب مباذلنا الشاحمةْ.
تمرَّد، فهذي الشرائم ملعونة الأبوين،
على عهرها شدت الأحزمةْ.

من جلالته بالحجاز
يجزُّ بكل أذان إله إلى خير الأنظمةْ.
شهوة نحرت، باتجاه أميركةَ،
سبعاً وسبعين في لحظة،
وتوضأ مجرمها بالدماء،
وصلَّى إلى قبلة مثله مجرمةْ.

يا جهيمان:
حدِّق فما يملكون فرائصهم.
نفذْتَ... نفذْتَ، زرعتهم قرحاً
ونفذْتَ... نفذْتَ بعيدا فأصلابهم عاقمةْ.
فإذا طوَّفوا كان وجهك،
أو سجدوا فالدماء التي غسلوها،
تسدُّ خياشيمهم ومناخيرهم وقلوبهم
الآثمةْ.

لم يناصركَ هذا اليسار الغبيُّ،
كأن اليمين أشدَّ ذكاء فأشعل أجهزة
الروث،
بين اليسار، يقلِّب في حيرة معجمهْ.
كيف يحتاج دم بهذا الوضوح
إلى معجم طبقي لكي يفهمهْ؟

أي تفوه بيسار كهذا،
أينكر حتى دمه؟

ويا ناصر بن سعيدٍ:
إذا كنت حيّاً بسجنٍ،
وإن كنت حيّاً بقبرٍ،
فأنت هنا بيننا ثورةً عارمةْ.

أيها الناس
أعلن أن الحجيج سلاحاً بمكةَ،
في السنة القادمةْ.
كافرٌ من يحجُّ بدون سلاحٍ،
يخلِّص مكةَ من دولةٍ عاهرٍ صائمةْ.

ازحفي أيها الكتل البشريةُ،
هذي العيون الملايين لو نظرت ذوَّبتهم،
فكيف إذا حدقت بالبنادق عابسة
صارمةْ؟

أيها الناس
هذي سفينة حزني،
وقد غرق النصف منها قتالاً،
بما غرقت عائمةْ.
وشراعي البهيُّ شموخي،
تطرَّفت وعياً. وأدرَجُ في كلِّ يومٍ،
كأني في قتلهم قائمةْ.
لا أخافُ،
وكيف يخاف جمهور بطلقته كاتمةْ؟
قدمي في الحكومات،
في البدء، والنصف، والخاتمةْ.

حاكمٌ وحمت أمُّه عملة أجنبية،
في يومه فأتى طبقها.
وانقلاب، بكل الحبوب التي تمنع الحملَ،
يزداد حملاً. وسلطنة ربعها لحيةٌ،
وثلاثة أرباعها مظلمةْ.
ومشايخ ملء الخليجِ،
مراحل بعد الفراغْ.
وأموالهم ذهبٌ إنما أجزمةْ.

والجماهير قد حولت وزنها ضجةً،
والبلاد إذا سمنت وارمةْ.
ولقد تشرق الشمس من حزننا غاربةْ.
ينطق الجوع منذ ولادتنا،
ويشبُّ بنا الموت والأتربةْ.
وأجانب مهما نقاتل،
والحاكمون الخصايا هم العرب العاربةْ.
حاكم طوله وكرامته دون هذا حذائي
ويضرب طولاً بعرض، هو الصفر
مهما تك الآلة الضاربة.

رحمة أيها الشعب
ضجَّ بشكل صحيح
لقد تاه قلبي، ولم يبق بيت به فرح
كلها شاحبة. أيها المنتشون،
بمحض الصراخ الملقَّن
والبث والذبذبة،
لحظة الصمت أعظم، إن صدقَتْ،
بصدق الانفجار ونيرانه اللاهبةْ.

أيها الجمع
صه، لا تصفِّق لأنظمة غائبةْ.
ما لها تتثاءب هذي الجماهير؟
تهتف وهي منومة...
زلزلي، واكفهري، اكفهري،
اكفهري يا أجمل من أمة غاضبةْ.
امسحيهم، فهم حاكمين بغايا بأفواههم،
والشريف الشريف شهامته سالبةْ.
اركليهم فأقدارهم يركلون
وأقدارنا القوة الضاربةْ.

* **قصيدة «الأساطيل» (1963) للشاعر العراقي الراحل مظفر النواب**
(1934 - 2022)

Samedi 25 Novembre 2023 no89
السبت 25 تشرين الثاني 2023 العدد 89

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

حربٌ على الأسرى

(من الويب)

فلسطين

الحرب على الأسرى تشتدّ قسوة

سجون الاحتلال تفوح دماً

ملاك سلوم

بالتّزامن مع حرب الإبادة المعلنة التي يشنّها الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزّة، ثمّة حرب صامتة أخرى غير مسبوقة بقساوتها يشنّها العدو على الأسرى الفلسطينيين وعلى أهالي الضفّة الغربية، شهدت ذروتها منذ السابع من تشرين الأول الفائت. تبدأ عملية التنكيل الإسرائيلية قبل الإعتقال، ويحرص الاحتلال على أن تكون عملية الاعتقال جزءاً من العقاب الجماعي. وقد شملت عمليات الاعتقال في المدّة الماضية

- احتجاز أفراد من عائلات المعتقل للضغط عليه وإجباره على تسليم نفسه.
- التهديد بإطلاق النار بشكل مباشر.
- التحقيق والتعذيب الميداني.
- التهديد بالاغتصاب.
- استخدام الكلاب البوليسية.
- الضرب المبرح.
- استخدام المواطنين دروعاً بشرية.
- وقد وصلت إلى حد الإعدام الميداني للأسير أثناء الاعتقال.

في هذا الإطار، كثّف الاحتلال عمليات الاعتقال، ليصل عدد المعتقلين إلى 3035 (حتى 22 تشرين الثاني)، وفي تشرين الأول كان عدد المعتقلين 1760، وهو الأعلى خلال شهر منذ انتفاضة الأقصى الأولى عام 2000.

وتحوّلت سجون الاحتلال إلى «مسالخ» للتعذيب والإذلال والتنكيل (راجع «القوس»)، تعذيب الآف الأسرى في ظلام المعتقلات). عشرات مقاطع الفيديو التي نشرها الاحتلال مؤخّراً، يظهر فيها معتقلون فلسطينيون معصوبو الأعين، وقد أُلصق بهم علم الكيان، وكُتب على جباههم، فيما يصدح صوت الموسيقى والأغاني العبرية الصاخبة في الخلفية.

وأظهر مقطع فيديو، تعذيب جنود الاحتلال لمجموعة من الفلسطينيين المدنيين العزّل بعد تجريدهم من ملابسهم، ما يشكل قمّة الحط من الكرامة الإنسانية للمعتقلين. وفي هذا السياق صعّدت إدارة سجون الاحتلال عمليات النقل الجماعية، واستهدفت عبرها قيادات من ذوي الأحكام العالية، وأسرى قدامى، ورافقت ذلك اعتداءات بالضرب والتنكيل، إلى جانب تصاعد عمليات العزل الإنفراديّ.

ومنذ الساعات الأولى لعملية «طوفان الأقصى»، عمدت إدارة السجون أيضاً إلى تقويض أساسيات العيش لدى الأسرى، عبر:

- تقليل وجبات الطعام إلى «القيمات».
- الحرمان من الرعاية الصحية والعلاج عند الإصابة تحت التعذيب.
- استخدام الكلاب البوليسية في الاعتداءات على الأسرى.
- تعريض الأسرى للبرد الشديد.
- قطع الكهرباء والماء.
- سحب مقوّمات العيش الأساسية كافة.
- فرض حصار خانق على حركة الأسرى.
- أشكال أخرى من العنف والتعذيب.
- استهداف الهياكل التنظيمية للأسرى وقيادات الحركة الأسيرة داخل السجون.

يأتي ذلك وسط عرقلة عمل الطواقم الحقوقية للوصول إلى الأسرى والدفاع عن المعتقلين، ومنع الزيارات العائلية، وتقاعس المؤسسات الدولية عن تأدية دورها.

في غضون ذلك، ارتفع عدد الأسرى الذين استشهدوا تحت التعذيب والاغتيال الممنهج إلى ستة. وهذا العدد مرشّح للزيادة وسط استمرار استفراد الاحتلال بالأسرى وإخفائه لأخبار استشهادهم.

التعذيب المفرط "غير المبرر" ظهر في عدة حالات اعتقالية، ففي الحادي عشر من الشهر الجاري، اقتحم جنود الاحتلال منزل الحاج سامي شبانة، بسبب متابعته لإحدى المحطات الإخبارية التي تنقل العدوان، واعتدوا عليه وعلى نجله قسام (16 عاماً) وهو من ذوي الاحتياجات الخاصة، بالضرب المبرح، قبل اعتقالهما ونقلهما إلى معسكر سنجل العسكري حيث تعرّضا للضرب باعقاب البنادق، وعندما أخبرهم الوالد أن نجله يعاني من مشكلات صحية، اعتدوا عليهما بأسلوب همجي واطفأوا السجائر بيدي قسام وقدميه، وتعمدوا إهانتهما برسم نجمة داوود على جبهتيهما. بعد احتجازهما لأكثر من 15 ساعة، أفرج عنهما ونقل الحاج سامي لتلقي العلاج بعد من آثار التعذيب.

(هنّ الويب)

وفي 13 من الشهر الجاري، اعتقل الاحتلال الشابين الشقيقين مهدي وفادي حجير من مخيم الجلزون شمال رام الله، واعتدى الجنود على فادي بوحشية، للضغط على شقيقيه شادي الذي سلّم نفسه. وبعد الإفراج

> «عمرك شفت حدا دموي؟ أنا دموي، انا بدي اقتلكم»، يقول مدير السجن الذي يدخل بسلاحه إلى السجن يومياً

عن فادي، اكتشفت عائلته أن جنود الاحتلال أحرقوا قدميه أثناء التحقيق القاسي الذي خضع له.

وتعرّض الأسير المصاب أسيد صالح (20 عاماً) من مدينة جنين، للتنكيل والتعذيب الشديدين منذ لحظة اعتقاله في 2023/10/9، حيث أصيب في قدمه إصابة بالغة، نُقل على إثرها الى مستشفى خاص لمدة 3 أيام، ثم إلى "عيادة" سجن الرملة.

ونقل محاميه عنه تعرّضه لاعتداءات وحشية منها الضرب بالبندقية مكان الإصابة، وتصويره أثناء ضربه وإهانته، وهجوم المستوطنين عليه في غرفة المستشفى، وتعرضه للضرب على أيدي عناصر شرطة الاحتلال في المستشفى ووضع وسادة على فمه لمنعه من الصراخ.

العدو يسعى إلى إعدام الأسرى

يسعى العدو الإسرائيلي إلى إصدار قانون ينصّ على «إيقاع عقوبة الموت بحق كل شخص يتسبّب عن قصد أو بسبب اللامبالاة في وفاة مواطن إسرائيلي بدافع عنصري أو كراهية ولإلحاق الضرر بإسرائيل».

«لا يستحقون أن يروا الشمس»، بهذه الكلمات أوعز وزير الأمن القومي للاحتلال إيتمار بن غفير، للسجّانين بتشديد ظروف الاعتقال للأسرى بعد جولة له في سجن «عوفر» حيث يُحتجز الأسرى الذين اعتقلوا في «غلاف غزة» (بعد السابع من أكتوبر)، وأشرف بن غفير على ضمان بث «النشيد الوطني الإسرائيلي» في السجون طوال الوقت وتقييد أيدي الأسرى وأرجلهم ووضعهم في زنزانات مظلمة تضم كل منها 8 أشخاص، ونومهم على أسرّة حديدية، وتخصيص مرحاض أرضي لهم، وتجويعهم وتعطيشهم.

واستكمل «الوزير» سياساته السابقة باستهداف الأسرى، عبر الدفع لتمرير «قانون إعدام الأسرى» عبر مناقشته في لجنة برلمانية في «الكنيست»، تمهيداً لطرحه للتصويت في الهيئة العامة لكنيست الاحتلال. وقد شهدت جلسة التصويت الأولية معارضة حادة من ذوي الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة في غزة، خوفاً على حياة أبنائهم.

شهادات اسرى واسيرات في سجون الاحتلال

■ الزنازين تسبح منها الدماء

«المعاملة في سجن مجدو شيء لا يتخيّله عقل، تعذيب جسدي ونفسي وقتل. يقومون بالتعذيب والضرب على الأماكن الحساسة ما يسبّب عاهات دائمة. قال أحدهم لنا: بدي احرمكم بجيكم ولد يقلكم بابا أو ماما، ناهيك عن سب الذات الإلهية والنبي محمد، وإجبارك على أن تسبّ "حماس". وفي بداية التعذيب يجب أن تقتل العلم الإسرائيلي وإذا لم تقبّله يضربون رأسك بالبسطار ويصوّرونك فيديو ويستهزئون بك. سحبوا أغراض الأسرى كلها، حتى تلك التي اشتروها بأموالهم ولم يتركوا سوى قطعة الثياب التي يلبسها الأسير، قطعوا الكهرباء، الأكل معدوم، صرنا نصوم كي نوفّر الطعام للأشبال (الأسرى الأطفال).

التعذيب هائل، لدرجة أن الزنازين تسيح منها الدماء كالمياه، لا يفرّق الاحتلال بين أسير محكوم وغير محكوم، وبين صغير أو كبير، ويتواصل على مدار الساعة التعذيب بالمياه الساخنة والباردة والضرب على الرأس، فيما ينعدم وجود الأدوية والطبابة والاستشفاء. ما يجبروننا عليه غير وارد في أي قانون دولي أو ضمن التحقيق الطبيعي، كما لا يطلبون منك إفادة، بل يكتبون ما يريدون من اتهامات ويحوّلونك إلى الاعتقال الإداري».

■ السجّان يدوس على وجهي

«رأيت شبّاناً، أصيبوا بحالات نفسية. أحد الشبّان عندما يسمع صوت مفاتيح السجان يلجأ إلى الزاوية ويبدأ بالارتجاف. ظلّ السجان يدوس على وجهي ويجبرني على شتم "حماس". ما كدت التفت حتى بدأ الجنود الذين كانوا ورائي وإلى جانبي بالضرب. أحد رفاقي، أدخله السجّانون إلى الحمام مع آخر، فتحوا عليهما الماء الباردة وأجبروهما على خلع ثيابهما، وبدؤوا بضربهما تحت الدوش، وكان صراخهما يصل إلينا».

■ تركيز الضرب على الرأس والعينين والصدر

«عمرك شفت حدا دموي؟ أنا دموي، أنا بدي اقتلكم، أنا جاي عشان اقتلكم»، يقول مدير السجن الذي يدخل بسلاحه إلى السجن يومياً، ويبدأ بالدوران في ساحة الفورة (باحة السجن) مهدداً الأسرى عند كل تعداد لهم. أثناء التفتيش يجبروننا على النوم أرضاً، ويضعون الكلاب علينا لمدة ساعتين ونصف ساعة. هجم عليّ الكلب 3 مرّات. أثناء تفتيش غرفة معيّنة، على الأسرى في الغرف الثانية النوم على الأرض ووضع أيديهم على رؤوسهم، ولا خروج إلى باحة السجن. يركّز الجنود ضربنا على منطقة الرأس والعينين والصدر. أما الأسرى المرضى، فمحرومون من العلاج ولا توجد عيادات أو أدوية، كما أن الأسرى الذين يصابون أثناء التعذيب يُتركون من دون علاج. أنا وهسّا طالع من باب الغرفة، حتى مدخل السجن، كل الأرض وكل ساحة السجن عبارة عن دم، حتى البوسطة يلي ركبوني فيها بتفوح ريحتها دم».

■ «معي 20 جندي، بدنا نغتصبك»

في سجن «الدامون»، تتعرّض الأسيرات للتفتيش العاري والمهجي والتهديد بالاعتداء عليهنّ، يقوم السجّانون بتصويرهنّ بهواتف خاصة، وطرح أسئلة استفزازية، وابتزازهنّ بعائلاتهنّ. كما تعانين من الاكتظاظ في السجن، وسحب أغراضهنّ، والعزل الجماعي داخل الزنازين والقمع. وقد وثّق المحامي حسن عبادي شهادة الأسيرة لمى الفاخوري التي تعرّضت للتفتيش العاري وقالت إن ضابطاً من جيش الاحتلال هدّدها في معسكر كريات أربعة قائلاً: «معي 20 جندي، بدنا نغتصبك... بدّي اعتقل أولادك وأحرقهم... أنتم أسرى حرب وبطلعلنا نعمل فيكم شو بدنا».

عميد الأسرى

يدخل الأسير نائل البرغوثي عامه الـ44 في سجون الاحتلال، وهذا أطول مجموع مدة اعتقال في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة. تعرض البرغوثي مؤخراً لاعتداء على يد قوات القمع بعد نقله من سجن عوفر إلى سجن جلبوع. الأسير البالغ من العمر (66 عاماً) من بلدة كوبر/ رام الله، اعتُقل عام 1978، وقضى 34 عاماً في الاعتقال بشكلٍ متواصل، ولا يزال يقبع في زنازين الاحتلال كرهينة بذريعة وجود ملف «سرّي».

قتل الصحافيين عن سابق تصوّر وتصميم

شهود شهداء

تهديدات الـ«شاباك»

الاستخبارات الإسرائيلية تتّصل بالصحافيين في غزة وتهدّدهم بالقتل إذا لم يتوقّفوا عن نقل صورة ما يحدث. حدث ذلك مع الصحافي الفلسطيني معتزّ عزايزة الذي اتصل به ضابط من الـ«شاباك» مهدداً بقتله إذا لم يكفّ عن نقل الأخبار من قطاع غزة. عزايزة لم يرضخ للتهديد، فقصف جيش العدو الإسرائيلي منزل عائلته. كما اتصل ضباط الـ«شاباك» بالصحافي علي جاد الله وهدّدوا بقتله إذا لم يتوقّف عن نقل الصورة والأخبار من قطاع غزة. لم يستجب جاد الله للطلب، فقصف جيش العدو الإسرائيلي منزل عائلته واستشهد والده.

على طريق القدس، ارتقى عصام عبدالله ولحقه زملاء المهنة فرح عمر وربيع المعماري بإعتداء خبيث من آلة الإجرام الصهيونية يوم الثلاثاء الفائت. أبى صحافيو لبنان إلّا أن يترافقوا مع زملائهم في غزة، وانضموا إلى الآف شهداء طوفان العدل والحق بوجه آلة الإجرام والقتل المدعومة من دول الغرب وما يسمّى دول عربية.

ثمنٌ غالٍ يدفعه أصحاب الحقّ في سبيل قضية الحقّ بأرواحهم وممتلكاتهم وأحلامهم وسط تجاهل دوليّ للقوانين والمعاهدات كلها، التي من المفترض أن تؤمّن الحماية للمدنيين أثناء النزاعات المسلّحة وللصحفيين خصوصاً.

جريمة بشعة أضيفت إلى سجلّ قوات الاحتلال بحقّ الصحافيين في «شبكة الميادين» الفضائية، بهدف ترهيب الجسم الإعلامي وإسكات صوت الإعلام المقاوم وإنهاء دور الإعلاميين في نقل الحقيقة. ولا شك في أنّ جيش العدو الإسرائيلي يصفّي الإعلاميين والصحافيين لأنهم يكشفون حقيقة العدوان الوحشي الإسرائيلي بحقّ المدنيين أمام العالم.

زملاؤنا صحافيو «قناة الميادين» اختاروا أن يكونوا مقاومين في الصفوف الأمامية، يتسلّحون بكاميراتهم وبحناجرهم لنقل صورة يباشرون مهمات مهنية خطرة في مناطق النزاعات المسلّحة أشخاص مدنيون ضمن منطوق الفقرة الأولى من المادة 50، ويجب حمايتهم بهذه الصفة بمقتضى أحكام الاتفاقيات شريطة ألا يفعلوا أي عمل يسيء إلى وضعهم كأشخاص مدنيين، وذلك من دون الإخلال بحق المراسلين الحربيين

> لا يمكن ان يكون جيش العدو قد ارتكب جرائمه بحقّ الصحافيين عن طريق الخطأ، إذ إنّ الاسلحة التي استخدمها متطوّرة تُصيب الاهداف المحدّدة بدقّة

(هنّ الويب)

المعتمدين لدى القوات المسلحة في الاستفادة من الوضع المنصوص عليه في المادة 4 من الاتفاقية الثالثة.

مفهوم الصحافي في القانون الدولي

لم تحدّد الإتفاقيات الدولية التي تهتم بحماية الصحافيين تعريفاً للصحافي، سواء في اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949 أو بالنسبة إلى المادة 79 من البروتوكول الإضافي الأول لسنة 1977 أو اللوائح الخاصة بالقوانين وأعراف الحروب البرية الملحقة باتفاقيّتي لاهاي لسنة 1899 و1907، والتي لم تتطرق هي الأخرى إلى تعريف مراسلي الصحف الذين يرافقون القوات المسلّحة المنصوص عليهم في المادة 13 حيث نصّت: يُعامل الأشخاص الذين يرافقون الجيش من دون أن يكونوا في الواقع جزءاً منه، كالمراسلين الصحافيين ومتعهدي التموين الذين يقعون في قبضة العدو ويُعلن له حجزهم، كأسرى حرب، شريطة أن يكون لديهم تصريح من السلطة العسكرية للجيش الذي يرافقونه.

عبر النصوص السابقة وغيرها من النصوص المتضمّنة بعض القواعد التي تنظّم عمل الصحافيين، يتبيّن أن الصحافيين العاملين في مناطق الحروب ثلاثة أصناف و يختلفون من حيث نطاق الحماية:

الصحافي العسكري: هو عسكري يعمل في مجال النشاط الإعلامي للجيش وينطبق عليه ما يقع على أفراد القوات المسلّحة، ولا يتمتع بأي حصانة خاصة.

مراسل حربي ملحق بالقوات المسلّحة، هو صحافي مدني يرافق القطعات من دون أن يكون جزءاً منها، بناء على تصريح من القطعات التي يرافقها، ويتّبع تعليمات هذه القوات. وهذا النوع يتمتع بوضع أسير حرب إذا ألقي القبض عليه، وفقاً لما نصّت عليه المادة 13 من اتفاقيات لاهاي 1907 والمادة 81 من اتفاقية جنيف لسنة 1929 والمادة 4/أ4 من اتفاقية جنيف الثانية لسنة 1949 والفقرة 2 من المادة 79 من البروتوكول الإضافي الأول لسنة 1979.

الصحافي المستقلّ: وهو كل صحافي ينتقل بمعزل عن القطعات العسكرية وليس جزءاً منها ويُعتبر مدنياً وفقاً لأحكام اتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949 والبروتوكول الإضافي الأول والبروتوكول الثاني لسنة 1977 الخاص بالنزاعات غير ذات الطابع الدولي وقرار مجلس الأمن الدولي رقم 1738 لسنة 2006.

حماية الصحافيين ووسائل الإعلام في الحروب

حماية وسائل الإعلام والعاملين فيها من مراسلين و مصورين وغيرهم من الكادر الصحافي إبان الحروب يُعدّ من الأمور الرئيسية التي نصّ عليها القانون الدولي وأكّد حمايتها في نصوصه المختلفة، ولم يحصر المسؤولية عن الهجمات بالدولة المعتدية، إنما حدّد مسؤولية الأفراد عن جرائمهم. وبالتالي، تنقسم المسؤولية إلى نوعين:

◄ الأول، مسؤولية الدول أثناء النزاعات المسلّحة عن خروقات قواتها المسلحة ضد الصحافيين ووسائل الإعلام، إذ تتحمل الدولة المسؤولية الكاملة عن أفعال قواتها المسلّحة وفقاً لما جاء في المادة الثالثة من اتفاقية لاهاي الرابعة لسنة 1949 التي نصّت على أن «يكون الطرف المتحارب مسؤولاً عن جميع الأعمال التي يرتكبها أشخاص ينتمون إلى قواته المسلحة». إضافة إلى بعض مواد اتفاقيات جنيف، التي تنصّ على أنه لا يمكن لأي طرف سام متعاقد أن يعفي نفسه أو يعفي طرفاً متعاقداً من المسؤولية التي يتحمّلها طرف آخر بسبب الانتهاكات الخطيرة التي نصّت عليها الاتفاقية. كما تبيّن المادة 91 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 أن: «يسأل طرف النزاع، الذي ينتهك أحكام الاتفاقيات وهذا الملحق، البروتوكول عن دفع تعويض إذا اقتضت الحال ويكون مسؤولاً عن كل الأعمال التي يقترفها الأشخاص الذين يشكلون جزءاً من قوّاته المسلحة».

◄ الثاني، مسؤولية الأفراد الجنائية عن جرائمهم الحربية ضد الصحافيين ووسائل الإعلام، فالجرائم التي يرتكبها أفراد ضد الصحافيين أثناء النزاعات المسلحة مهما كانت الأسباب تعتبر جرائم حرب، لكون الصحافيين أشخاصاً مدنيين وفقاً لمضمون اتفاقيات جنيف الرابعة لسنة 1949 والبروتوكول الإضافي لسنة 1977، حيث أكدت القرارات الدولية مبدأ المسؤولية الجنائية الفردية لمرتكبي تلك الأفعال، وكذلك نصت المادة 4 من اتفاقية منع جريمة الإبادة للجنس البشري والمعاقبة عليها لسنة 1948 على أنه «يعاقب الأشخاص الذين يرتكبون جريمة إبادة الجنس أو أي من الأفعال المنصوص عليها في المادة 3 سواء أكانوا حكاماً مسؤولين أم موظفين عموميين أم أفراداً عاديين».

رغم هذه النصوص كلها التي لا يمكن حصرها، إلا أننا أمام عدوّ لا يبالي بالأعراف والقوانين والأخلاقيات كلّها، وأمام مجتمع دولي ينظر بعين واحدة إلى الجرائم المرتكبة. فوسط الصمت الدولي عن الإبادة الجماعية التي يتعرّض لها الفلسطينيون منذ عقود، لن نتأمل اتّخاذ أي إجراءات تجاه الاعتداءات والتهديدات التي تطال الإعلاميين في لبنان، ولا سيما أننا سبق أن اختبرنا عدالة العالم في قضية الشهيدة شيرين أبو عاقلة. فرغم أنّ التحقيقات أثبتت اغتيالها عن طريق قناص بصورة متعمّدة، لم يُحاسب أحد.

(القوس)

فلسطين

هل يمكن مقاضاة «إسرائيل»؟
آليات متوافرة وإرادات مفقودة

لونا فرحات *

مع استمرار العدوان الإسرائيلي الوحشي على الشعب الفلسطيني في غزة، يتصاعد الحديث عن مقاضاة إسرائيل على جرائمها الدولية، ويصطدم ذلك بحديث آخر حول أن القانون الدولي أضعف من أن يحاسب أو يعاقب من ينتهك قواعده الملزمة. وهذا صحيح، لأن القانون الدولي لا يملك السلطة التنفيذية الدولية اللازمة لتطبيق قواعده الملزمة، غير أن هذه القواعد تتضمن آليات عدة للمحاسبة والمعاقبة، من بينها معاقبة مرتكبي الجرائم أمام المحكمة الجنائية الدولية التي تتجه كل الأنظار نحوها اليوم لمعاقبة منفذي الجرائم الصهيونية.

وسيخوض محامون من دول مختلفة، وخصوصاً فرنسا، معركة تمثيل ضحايا جريمة الحرب الإسرائيلية أمام المحكمة المذكورة. كما تحرّكت بعض الدول، كجنوب أفريقيا وبوليفيا وبنغلادش وجزر القمر وجيبوتي، لطلب إحالة ما يحدث في غزة إلى هذه المحكمة، في خطوة تُعد الأولى من نوعها ضد مسؤولين إسرائيليّين بشكل رسمي. لكن السؤال يبقى: هل ينضم الأردن إلى قائمة هذه الدول، وخصوصاً أنه من أولى الدول التي صادقت على النظام الداخلي للمحكمة، وله علاقات دبلوماسية مع الكيان؟

ماذا عن محكمة العدل الدولية ؟

اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها (اتفاقية الإبادة الجماعية) من أول الصكوك الدولية التي اعتُدّتها وأقرّتها الأمم المتحدة بعد إنشائها. وبموجب هذه الاتفاقية، قُنّنت جريمة الإبادة الجماعية للمرة الأولى. فقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية الإبادة الجماعية في 9 كانون الأول/ ديسمبر 1948، كالتزام من المجتمع الدولي بشعار «عدم تكرار ذلك أبداً»، أي عدم تكرار الفظائع التي ارتُكبت في الحرب العالمية الثانية. وشكّل اعتمادها خطوة حاسمة نحو تطوير القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الجنائي الدولي كما نعرفه اليوم.

وتعرّف الاتفاقية الإبادة الجماعية بأنها «أي من الأفعال التالية المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية، بصفتها هذه؛ قتل أعضاء الجماعة؛ التسبب في ضرر جسدي أو عقلي خطير لأعضائها؛ إخضاع الجماعة عمداً لظروف معيشية يقصد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً؛ فرض تدابير تهدف إلى منع الولادات داخل الجماعة؛ ونقل أطفالها قسراً إلى مجموعة أخرى». وقد اعتمد هذا التعريف على نطاق واسع على الصعيدين الوطني والدولي، بما في ذلك في نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998.

وتنص الاتفاقية على التزام الدول الأطراف باتخاذ تدابير لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، بما في ذلك عن طريق سن التشريعات ذات الصلة ومعاقبة الجناة، «سواء كانوا حكاماً مسؤولين دستورياً أو موظفين عموميين أو أفراداً عاديين» (المادة الرابعة). واعتبر هذا الالتزام، إضافة إلى حظر عدم ارتكاب الإبادة الجماعية، من قواعد القانون العرفي الدولي، وبالتالي ملزماً لجميع الدول، سواء صدقت على اتفاقية الإبادة الجماعية أم لا. واعتباراً من كانون الأول 2019، صدّقت 152 دولة على الاتفاقية أو انضمت إليها، وآخرها موريشيوس في 8 تموز 2019، فيما دولة واحدة، هي جمهورية الدومينيكان، وقعت على المعاهدة ولم تصدق عليها. أما إسرائيل فقد وقعت اتفاقية الإبادة الجماعية في 11 كانون الأول 1948 وصادقت عليها في 9 آذار 1950. لذا، فإنها لم تخالف فقط قواعد القانون الدولي الإنساني، بل انتهكت أيضاً التزاماتها بموجب اتفاقية منع الإبادة الجماعية.

ويمكن مقاضاة إسرائيل كدولة (بالنسبة إلى الدول التي تعترف بها) من قبل دولة أخرى لانتهاكها اتفاقية منع جريمة الإبادة والمعاقبة عليها أمام محكمة العدل الدولية. فالمادة التاسعة من الاتفاقية تنص على أن «تعرض على محكمة العدل الدولية، بناءً على طلب أي من الأطراف المتنازعة، النزاعات التي تنشأ بين الأطراف المتعاقدة بشأن تفسير أو تطبيق أو تنفيذ هذه الاتفاقية، بما في ذلك النزاعات المتصلة بمسؤولية دولة ما عن إبادة جماعية أو عن أي من الأفعال الأخرى المذكورة في المادة الثالثة». وبناءً عليه، أصبح لمحكمة العدل الدولية، بموجب المادة التاسعة، ولاية قضائية على المنازعات «المتصلة بتفسير أو تطبيق أو إنفاذ» الاتفاقية. وفي قضية «البوسنة والهرسك ضد صربيا والجبل الأسود»، أيّدت محكمة العدل الدولية أنه يمكن بالفعل أن ترتكب الدول جريمة الإبادة الجماعية، وأن المحكمة يمكن أن تبت في القضية عملاً بالمادة التاسعة. وقد رفعت إلى المحكمة دعاوى عديدة بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، لكن لم تتوّج بحكم نهائي سوى قضية واحدة هي «البوسنة والهرسك ضد صربيا والجبل الأسود». ونظرت محكمة العدل الدولية أيضاً في دعوى تعتبر سابقة قضائية بين الدول هي تلك التي رفعتها غامبيا في تشرين الثاني - نوفمبر 2019 ضد ميانمار أمام محكمة العدل الدولية. وارتكزت الدعوى على حملات القمع العسكرية الوحشية التي شنتها القوات الحكومية البورمية عامَي 2016 و2017 وأجبرت أكثر من 700 ألف من الروهينغا على الفرار عبر الحدود إلى بنغلاديش. واتهمت غامبيا ميانمار (بورما) بعدم الالتزام باتفاقية الأمم المتحدة للإبادة الجماعية والقيام بأعمال ترقى إلى الإبادة الجماعية في عملياتها ضد أقلية الروهينغا في تشرين الأول -أكتوبر 2016 وآب - أغسطس 2017 . وأكدت محكمة العدل الدولية أنّ «غامبيا، بوصفها دولة طرفاً في اتفاقية الإبادة الجماعية، لها صفة الاحتجاج بمسؤولية ميانمار عن الانتهاكات المزعومة لالتزاماتها بموجب المواد الأولى والثالثة والرابعة والخامسة من الاتفاقية». وأمرت محكمة العدل الدولية حكومة بورما «باتخاذ جميع التدابير التي في وسعها» لحماية مسلمي الروهينغا من الإبادة الجماعية. وأصدرت المحكمة الحكم في 23 كانون الثاني - يناير 2020، وأضافة 600 ألف من الروهينغا المتبقين في بورما بأنهم «معرضون للغاية» للعنف العسكري. وأمرت بورما بتقديم تقارير منتظمة إلى المحكمة عن التقدم الذي أحرزته. ومثل الحكم توبيخاً حاداً للسلطة الحاكمة في ميانمار. فمحكمة العدل الدولية لا تتمتع بالولاية القضائية للبت في الأعمال الجنائية، لكن لديها سلطة إصدار حكم ملزم قانوناً بشأن ما إذا كانت بورما قد انتهكت التزاماتها بموجب القانون الدولي. واللافت في هذه الدعوى أن غامبيا تقدمت بها باسمها وبالنيابة عن 57 دولة عضواً في منظمة التعاون الإسلامي. لذا، ثمة إمكانية كبيرة لرفع دعوى ضد إسرائيل من أي دولة من الدول الموقعة على اتفاقية منع الإبادة الجماعية، وهي في الوقت عينه عضو في منظمة التعاون الإسلامي وتقيم علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيوني.

> **سيخوض محامون من دول مختلفة، وخصوصاً فرنسا، معركة تمثيل ضحايا جريمة الحرب الإسرائيلية أمام المحكمة**

وكان من المتوقع أن تتخذ منظمة التعاون الإسلامي خطوة مماثلة وتتقدم بدعوى أمام محكمة العدل الدولية عبر إحدى الدول الأعضاء ضد إسرائيل لانتهاكها اتفاقية الإبادة الجماعية، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

مقاضاة إسرائيل بآليات قانونية دولية متوافرة وممكنة، لكنها تتطلب إرادة فعّالة وحقيقية. فالقانون الدولي ليس هو الملام في حال انتهكت أحكامه وقواعده الملزمة، بل الدول التي تدار من قبل سلطات سياسية لا تتفق حساباتها مع قيم العدالة وإحقاق الحق. وثمة بصيص أمل يتجلى في بداية يقظة دولية وإن بدت الآن ضئيلة وغير كافية. ولكن الرهان على الوعي الحقوقي للشعوب التي تستطيع أن تغير مجرى التاريخ، وتجبر حكوماتها على التحرك الفعلي بدلاً من الصمت المخزي.

* أستاذة متخصصة بالقانون الدولي

(أ ف ب)

كيف يفترض التعامل الشرعي مع جثث الشهداء في غزة؟

فاطمة خشّاب درويش

أمام العدد الكبير للشهداء في غزة منذ بداية «طوفان الأقصى»، تُطرح أسئلة كثيرة حول كيفية التعامل الشرعي مع جثثهم، خصوصاً أن هناك كثراً لا يزالون تحت الركام، وآخرين ينتظرون لم تُحدّد هوياتهم في برادات المستشفيات، وأشلاء جثث لم يعرف أصحابها. وبما أن أصول التعامل مع الموت تحددها المراجع الدينية، تواصلنا مع عضو تجمع العلماء المسلمين في لبنان الشيخ عبد القادر ترنني والشيخ بهاء الدين سلام للحصول على بعض الإجابات، وكذلك مع مدير المركز الكاثوليكي للإعلام المونسنيور عبده أبو كسم. وتبين ان الأساس واحد بين المسلمين والمسيحيين وهو احترام الموت وتكريم الشهداء بالإسراع بدفنهم.

كيف يفترض التعامل مع أشلاء الجثث المجهولة؟

إذا وجد الميت أشلاءً مقطعة، أو لم يوجد منه إلا بعضه، فالواجب تجميع أشلاء وأعضاء كل ميت على حدة، فيما الأشلاء التي يتعذر معرفة هويات أصحابها تترك متفرقة كما هي. أشلاء الشهداء تدفن معهم كما هي، إما أن لم تكن لشهيد فيجب تغسيلها وتكفينها والصلاة عليها، حتى لو كان الموجود منها بعض الميت كيده أو رجله فقط، ويدفن كل ميت أو الجزء الموجود منه في قبر مستقل إلا إذا تعذر ذلك. وفي حال صُلي على الميت ثم وجد جزء آخر منه: تُغسل هذه الأجزاء، وتكفّن، وتدفن في المقبرة.

في حال كانت الجثة تعاني من عرض او تشوه او تاكل، هل يجوز لمسها او تغسيلها؟

الحكم الشرعي أن الشهيد لا يغسل، وفي حال لم يكن شهيد معركة، يجب غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ومن تعذر غسله بسبب المرض يُيمّم، وإذا تعذر تكفينه سقط، وإذا تعذرت الصلاة عليه صلي على قبره.

متى يعتبر المفقود شهيدا؟ هل هناك مهلة معينة لذلك؟

اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من يرى أنه يعد ميتا بعد مضي 80 عاما أو 90 عاما؛ ومنهم من يرى أنه يعد ميتا بعد أربع سنوات مستندين إلى أنّ عمر بن الخطاب قال: أيُما امرأة فقدتْ زوجَها، فلم تدر أينَ هوَ، فإنّها تنتظرُ أربعَ سنينَ، ثُمّ تعتدُّ أربعةَ أشهر وعشرًا. أما الكنيسة فلا تجبر أحداً على توفية شخص مهما طالت فترة غيابه أو فقده إلا إذا رغب الاهل في ذلك.

هل يغسل الشهيد قبل دفنه؟

إن رفع حياً غسل وصُلّي عليه، إلا إذا رفع مغموراً - والمغمور هو الذي لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم - فهذا كالمرفوع ميتاً، فلا يغسل؛ ولا يصلى عليه. وأما غيره من الشهداء فإنه يغسل كمن قتل مظلوماً أو قتله اللصوص في المعترك أو مات بغرق أو هدم، فإنه يغسل ويصلى عليه. أما بالنسبة للمسيحيين فلا يغسل المتوفى عادة.

كيف يتم التعاطي مع من لا يزالون تحت الانقاض؟ هل يعتبرون في عداد الشهداء؟

الأموات الذين لا يزالون تحت الأنقاض بالتأكيد هم في عداد الشهداء وتقرأ عليهم سورة الفاتحة، وفي حال لم يكن مؤكداً أنهم توفوا تحت الأنقاض يعتبرون أحياء حتى يثبت عكس ذلك. ولا مانع من الصلاة على راحة أنفس الشهداء لدى المسيحيين، وعندما يرفع الردم يمكن الصلاة عليهم، فالصلاة على الميت تجوز أكثر من مرة، لأنها راحة للنفس.

> **في حال صُلي على الميت ثم وجد جزء آخر منه: تغسل هذه الأجزاء، وتكفّن، وتدفن في المقبرة**

هل يجوز دفن المرأة مع زوجها او مع اولادها؟

الأصل أن يدفن كل شهيد بمفرده، إلا إذا كانت الضرورة تقتضي أن يدفنوا في قبر واحد في حال كان هناك نقص في القبور أو كثرة موتى وخشية تغيرهم أو لحاجة كمشقة على الأحياء. وإذا وقع ذلك وضع الأفضل جهة القبلة ويليه المفضول، ويلاحظ تقديم الكبير على الصغير، والذكر على الأنثى ونحو ذلك؛ ويجب أن يفصل بين كل اثنين بتراب، ولا يكفي الفصل بالكفن. ولا مشكلة في دفن المرأة مع زوجها جنباً إلى جنب في القبر نفسه بالنسبة للمسيحيين.

ما هي المعايير الشرعية التي تعتمد لتاكيد الوفاة؟

المفقود في جبهات القتال تراجع الدوائر المعنية بشأنه، كالجنود المشاركين في المعركة، أو يُسال عنه رفاقه العائدون من الجبهات والأسرى العائدون من الأسر. أما المعتقل المفقود فتسال عنه دوائر الشرطة والجهات الأمنية ذات العلاقة وهكذا. والمعايير هي استلام الجثة وتاكد موتها، أو فقدان الجثة لمدة يتاكد معها استشهاده.

هل يمكن دفن الشهيد بثيابه مع سلاحه، او خاتمه؟

يجب دفن الشهيد بثيابه التي مات فيها متى كانت مباحة، ولا يزاد عليها إن سترت جميع بدنه، فإن لم تستر جميع بدنه زيد عليها ما يستره؛ ولا ينزع خفه، ولا قلنسوته - وهي ما يتعمم به؛ وتسمى الطاقية - ولا تنزع منطقته، وهي ما يشد في وسطه إن كان ثمنها قليلاً؛ وكذلك يبقى خاتمه إن قل ثمن فصه، وكان الخاتم من فضة. وإلا نزع ودفن بدونه. وتنزع عنه آلة الحرب كالسيف والدرع.

في حال وجد المسلم جثة على الطريق، هل يجب عليه المبادرة إلى دفنها؟

الحاكم العادل أو الجهات المختصة هي المخولة بالمبادرة إلى دفن الميت بعد الإجراءات اللازمة والتحقق من موته. إذا كان الأمر مستحيلا فيدفنها وله الأجر. والامر نفسه ينطبق على المسلمين والمسيحيين.

كيف ينظر الشرع إلى الأطفال الذين ولدوا منذ بداية الحرب واستشهدوا قبل ان تسجل ولاداتهم في القيود الرسمية، وهل يفترض تسجيلهم ومن استصدار وثيقة وفاة؟

هذا الأمر من الأعمال التنظيمية الخاصة بدوائر النفوس، وهو مطلوب متى دعت إلى ذلك المصلحة، بل قد يكون واجباً من أجل أعمال حصر الإرث...لا بد من ذلك لتاكيد الشخصية ولاعتبارات قانونية ضرورية، إلا إن استحال ذلك.

الجنين هو شخص متكامل يدفن مع الأطفال وله جنّاز خاص، يفترض تسجيل هؤلاء الأطفال واستصدار وثيقة ولادة ووثيقة وفاة. في كل الأحوال تسجل في سجلات الكنيسة أسماء هؤلاء الأطفال ويكتب في خانة الملاحظات في سجل الرعية أنه لم يستصدر لهم وثيقة ولادة ووفاة.

هل يجوز إبقاء الشهداء المجهولي الهوية في البرادات حتى يتم التعرف عليهم؟

يتولى أمرهم الحاكم الشرعي أو من ينوب عنه لجهة قرار الدفن أو الإبقاء في البرادات. وبالنسبة للبعض تنقدم قاعدة «إكرام الميت دفنه»، اذ لا يفترض بقاء الجثة أكثر من أسبوعين من دون دفن.

تحت القوس

لماذا رفضوا الهدنة ثم قبلوا بها؟

عمر نشابة

في 18 تشرين الأول الفائت، عارضت الولايات المتحدة اصدار قرار عن مجلس الامن الدولي يلزم «إسرائيل» بوقف اطلاق نار في غزة. وكانت البرازيل قد تقدمت بمشروع القرار الذي أيّده 12 عضوا (من اصل 15)، واستخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) لنسفه. وقال المسؤولون الاميركيون يومها ان من حق «إسرائيل» أن تدافع عن نفسها، متذرّعين بأن حركة حماس قد تستغلّ أي هدنة «لإعادة تنظيم قواتها».

في 26 تشرين الأول، أيضاً، عارضت الولايات المتحدة ومعها 13 دولة، منها النمسا وهنغاريا وجمهورية التشيك وكرواتيا، قراراً للجمعية العمومية للأمم المتحدة يدعو الى وقف اطلاق النار وادخال مساعدات إنسانية الى غزة المحاصرة. صدر القرار بعدما صوّتت عليه 120 دولة، بينما امتنعت بعض الدول المؤيدة لـ«إسرائيل» عن التصويت، ومنها المانيا وقبرص وإيطاليا وهولندا واليونان والسويد والدنمارك وبولندا. لكن، بما ان الدول المخالفة لقرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة لا تفرض عليها اية إجراءات بموجب الفصلين السادس والسابع من ميثاق الأمم المتحدة، واصلت «إسرائيل» عدوانها الوحشي على المدنيين والمستشفيات والصحافيين في غزة المحاصرة.

في 15 تشرين الثاني، بعد نحو 40 يوماً من القصف المتواصل على اكثر المناطق المحاصرة في العالم اكتظاظاً، اعتمد مجلس الأمن الدولي القرار الرقم 2712 الذي يدعو إلى هُدنة وإقامة ممرات إنسانية في جميع أنحاء قطاع غزة. ولم تعارض الولايات المتحدة على القرار ولم تستخدم حق النقض لنسفه.

لماذا تغيّر الموقف الأميركي بين 18 تشرين الأول و15 تشرين الثاني؟ أليس مضمون مشروع القرار الذي عرضته البرازيل، في 18 تشرين الأول، مماثلاً للقرار 2712؟ الا يمكن لحركة حماس «إعادة تنظيم قواتها» خلال «الهدنة» التي يفرضها القرار 2712 على «إسرائيل»؟ الحقيقة هي أن الاميركيين وأصدقاء «إسرائيل» الأوروبيين ظنوا ان بإمكان الجيش الإسرائيلي حسم المعركة وتدمير حركة حماس، فماطلوا قبل اعلان الهدنة لمنح الإسرائيليين الوقت الكافي للقيام بذلك. لكن الجيش الإسرائيلي عجز عن تحقيق مبتغاه، فرضخ الأميركي لقرار الهدنة. أضف الى ذلك التخبط الداخلي الذي يعيشه الإسرائيليون والانقسامات الحادة بينهم بسبب موضوع الاسرى. غير أن هذا لا ينبغي أن يعدّ مجرّد خطأ أو سوء تقدير وخربطة في حسابات اميركا وأوروبا وكل من عارض وقف اطلاق النار.

فبين 18 تشرين الأول و15 تشرين الثاني، قتل جيش الاحتلال الإسرائيلي اكثر من 8022 فلسطينياً وجرح اكثر من 17800. وتتحمل الولايات المتحدة والدول الأوروبية التي عارضت او امتنعت عن التصويت على قرارات وقف اطلاق النار المسؤولية الجنائية عن مقتل هؤلاء.

فلسطين

الأمم المتحدة تفشل في حماية أبسط حقوق البشر

مسرحيات مجلس الأمن الدّولي الفاشلة

حين وقّع المجتمعون في سان فرنسيسكو ميثاق الامم المتحدة، في حزيران 1945، كانوا يعلمون علم اليقين بغياب المساواة بين الدول في اتخاذ القرارات المتعلّقة بهيئات الامم المتحدة. إذ تم تصنيفها بين دولة نافذة ودولة لا راي لها. للدلالة على ذلك، سنأخذ لبنان، الدولة المؤسّسة للامم المتحدة، مثالاً. فهذه الدّولة لم ينصفها مجلس الامن الذي شاركت في عضويته مرتين. ورغم ان كيان الاحتلال الإسرائيلي منذ نشأته لم يكن عضوا في مجلس الامن، إلا ان هذا المجلس كان إلى جانبه دوماً. فتاريخ الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان اكبر من تاريخ نشأة هذه المنظمة التي خذلته مرارا. ولم تقم بما يردع الاحتلال عن الاعتداء على ارضه وسمائه. ومهما لا شك فيه ان هذه المنظمة تحتاج إلى تعديل في ميثاقها بما يضمن فعلياً السلم والامن الدوليين، لا مصالح الاحتلال الإسرائيلي

(من الويب)

صادق علوية

لم تكن طريقة تشكيل مجلس الامن ولا طريقة التصويت فيه سوى تعزيز لسيطرة الدول الدائمة العضوية على هذه المنظمة. فقد ضاعت حقوق الشعوب المقهورة والمستضعفين بين مصالح الدول الدائمة العضوية التي تتحكم كل منها بقرارات المجلس عبر استخدامها لما يعرف بحق النقض. وقد استفاد الاحتلال الإسرائيلي من هذه الآلية على مدى 70 عاماً.

لذلك، تميزت قرارات مجلس الامن المتعلقة بالنزاع العربي . الإسرائيلي عموماً واللبناني خصوصاً بالضبابية لتحصين الاحتلال. فحين كان الاعتداء الإسرائيلي واضحاً على لبنان، كان مجلس الامن يحاول أن

> **تميزت قرارات مجلس الامن المتعلقة بالنزاع العربي الإسرائيلي عموماً واللبناني خصوصاً بالضبابية لتحصين الاحتلال**

يحمل في مضمون قراراته عبارات ملتبسة. ففي القرار الواحد نجد إدانة واضحة لكل أشكال المقاومة وحق المقاومة وحق لبنان بالدفاع المشروع عن نفسه وصد الاعتداءات الإسرائيلية، في حين كانت تتضمن الفقرات المتعلقة بالاحتلال تمنيات وعبارات لا تمت إلى الإلزام بصلة، ما جعل الاحتلال الإسرائيلي يمضي في غيّه وطغيانه متّكلاً على وقوف مجلس الامن إلى جانبه.

العلّة في الميثاق

بموجب ميثاق الأمم المتحدة، يضطلع مجلس الأمن بمهام المحافظة على السلام والأمن الدوليين وفقاً لمبادئ الأمم المتحدة ومقاصدها، والتحقيق في أي نزاع أو حالة قد تفضي إلى خلاف دولي، واتخاذ إجراءات عسكرية ضد المعتدي.

ورغم تاريخ إسرائيل الحافل بالاعتداءات على لبنان، لم يتخذ المجلس أي قرار يتضمن إجراءات بحقّ كيان الاحتلال، وكان في كل مرّة يلتفّ على كل مسألة متجنباً اتخاذ قرار يتضمن الية تنفيذية لردع الاحتلال عن اعتداءاته.

> **عضوية لبنان في مجلس الامن الدولي:**
> **1953-1954 و 2010-2011**

لقد أورد المؤسّسون في مطلع الميثاق أن شعوب الأمم المتحدة الت على نفسها أن تنقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي جلبت على الإنسانية مرتين خلال جيل واحد أحزاناً يعجز عنها الوصف، وأنها تؤكد من جديد إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء والأمم، كبيرها وصغيرها، من حقوق متساوية، وان تبيّن الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي، وأن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً، وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية افسح.

هذه العبارات الفصيحة هي حرفياً ما يتضمنه الميثاق، لكن تاريخ هذه المنظمة لم يكن على قدر التطلّعات ولم يقم بمساعدة لبنان إلا بالفصاحة اللغويّة.

تكمن العلّة في أن الميثاق فوّض إلى مجلس الأمن التبعات الرئيسية في أمر حفظ السلم والأمن الدولي، ووافقت الدول الموقعة على أن المجلس ينوب عنها في قيامه بواجباته التي تفرضها عليه هذه التبعات بحجة الرغبة في أن يكون عمل الأمم المتحدة سريعاً وفعالاً.

ومن ناحية ثانية، ورد في المادة 23 من الميثاق أن مجلس الأمن يتالف من نوعين من العضوية: عضوية دائمة وأخرى غير دائمة. فأين المساواة المنشودة بين الدّول؟ وما الذي يبرّر وجود نوعين من العضوية؟ وهل أن القوّة والعظمة والتطور من المعايير التي تجعل بين الدّول مراتب، أم أن دولة الفقراء تابعة لدولة الأغنياء وتعمل لديها وبإمرتها؟

يتالف مجلس الأمن من خمسة عشر عضواً من الأمم المتحدة، وتكون جمهورية الصين، وفرنسا، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (روسيا حالياً) والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة اعضاء دائمين فيه. وتنتخب الجمعية العامة عشرة أعضاء أخرين من الأمم المتحدة ليكونوا أعضاء غير دائمين في المجلس.

تحاول المادة 23 من الميثاق تامين تمثيل أوسع وتلطيف السيطرة على مجلس الأمن عبر مراعاة مساهمة أعضاء الأمم المتحدة في حفظ السلم والأمن الدوليين وفي مقاصد الهيئة الأخرى، كما يراعى أيضاً التوزيع الجغرافي العادل.

من ناحية ثالثة تكمن معضلة أخرى تتمثل في آليّة التّصويت في المجلس، وهي ما يمكن تسميته بعقدة الإجماع المعطّل بهدف السيطرة الدائمة للأعضاء الدائمين على قرارات مجلس الأمن. فقد نصت المادة 27 على أن يكون لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن صوت واحد. بحيث تصدر قرارات مجلس الأمن في المسائل الإجرائية بموافقة تسعة من أعضائه، من بينها أصوات الأعضاء الدائمين متفقة، بشرط أنه في القرارات المتخذة تطبيقاً لأحكام الفصل السادس والفقرة 3 من المادة 52 يمتنع من كان طرفاً في النزاع عن التصويت. وبهذه الآلية لا يكون لكل عضو صوت مماثل للدول الأخرى. ومن هنا تم ابتداع ما يسمّى بالفيتو وهو عملياً التصويت السّلبيّ.

الاف الشكاوى ومجلس الامن يتفرج

1946: منذ شباط 1946 طلب لبنان وسوريا من مجلس الأمن التوصية بسحب القوات الفرنسية والبريطانية من أراضيهما، كون اتفاق 13 كانون الأول/ ديسمبر 1945 الفرنسي البريطاني قد أخضع انسحاب القوات لشروط متنافية مع ميثاق الأمم المتحدة، وذكرت الرسالة أن حكومتي سوريا ولبنان توقعتا سحب هذه القوات الأجنبية فور وقف الأعمال العدائية مع ألمانيا واليابان، إلا أن الاتفاقية الفرنسية البريطانية في 13 ديسمبر 1945 تنص على انسحاب القوات بشروط لا تتفق مع روح ونص ميثاق الأمم المتحدة.

خلال الجلسة تم تقديم مقترحات عدة كمشاريع قرارات ومنها مشروع قرار من الولايات المتحدة، مقدم في نفس اللقاء، يقترح بأن تجري المفاوضات لتحقيق الانسحاب، ولم يتم اعتماد مشروع القرار الذي قدمته الولايات المتحدة .

هيئة الامم المتحدة لمراقبة الهدنة

1948: أنشأ مجلس الأمن هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة يوم 29 أيار 1948، باعتماده القرار 50 سنة (1948)، عقب انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية. وكانت أول عملية لحفظ السلام أنشأتها الأمم المتحدة. وكان دورها يتمثل بمراقبة فض الاشتباك في مرتفعات الجولان ومساعدة قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، والتعاون معها في رصد وقف إطلاق النار وفي الإشراف على اتفاقات الهدنة ومنع الحوادث المنعزلة من التصاعد. ورغم وجود هذه القوة، إلا أنها لم تقم بأي عمل يُذكر لصدّ اعتداءات الاحتلال.

قوة الامم المتحدة المؤقتة في لبنان

في 19 آذار 1978 أنشأ مجلس الأمن قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان اعتماداً على القرار 425 الصادر عام (1978)، لتاكيد انسحاب إسرائيل من جزء من جنوب لبنان، وإعادة السلم والأمن الدوليين إلى نصابهما ومساعدة حكومة لبنان على استعادة سلطتها في المنطقة، إلا أن الاحتلال لم ينسحب من تلك المنطقة وبقي القرار حبراً على ورق لغاية عام 2000.

فريق مراقبي الأمم المتحدة في بيروت

1988: أنشئ عام 1988 فريق المراقبة، المكون من موظفي هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة لرصد الحالة السائدة في بيروت، بلبنان، وما حولها، عقب العمل العسكري الإسرائيلي ضد لبنان ولكن لا يتذكر اللبنانيون أن قوة مراقبة الهدنة كانت تناصرهم أو تردع الاحتلال عن أذيتهم.

التحرير بفعل المقاومة

بعد الاندحار الإسرائيلي من لبنان إلى الخط الأزرق في عام 2000، وُسّع نطاق ولاية هذه القوة مجدّداً في آب من عام 2006 عقب الحرب التي شنّتها قوات الاحتلال الإسرائيلي على لبنان. وشملت مهام القوة رصد التوقف عن الأعمال العدائية، ومرافقة ودعم القوات المسلحة اللبنانية وهي تنتشر في أرجاء جنوب لبنان، وتقديم المساعدة للإعانة على حصول المدنيين على النجدة الإنسانية والعودة الطوعية والآمنة للمشردين وفقاً لما ورد في نص القرار ، ورغم ذلك لم تكن هناك أية تعليمات لهذه القوات بحماية لبنان أو ردع الاحتلال، حتى أنها لم تكن تملك حق الدفاع عن نفسها حين هاجمتها قوات الاحتلال أكثر من مرّة، لا بل ارتكب الاحتلال المجازر على مقارها وخاصة مجزرة قانا عام 1996 .

مجلس الامن يشاهد المجازر في النشرات الإخبارية

في عام 2006 إثر بدء عدوان تموز 2006 الإسرائيلية على لبنان وخلال جلسة لمجلس الأمن، أعرب ممثلا قطر وفلسطين عن خيبة أملهما إزاء استمرار عجز المجلس عن العمل في حين يتواصل قتل المدنيين الفلسطينيين على أيدي الإسرائيليين. وأضافا أن هذا الأمر يضر بمصداقية المجلس وهو سيسهم في تفاقم الحالة. وفي رسالة أخرى، احتج ممثل الاحتلال الإسرائيلي بشان تسلل حزب الله إلى الأرض التي يعتبرها إسرائيلية واختطاف جنديين إسرائيليين، رغم أن المشاهد المصورة كانت تثبت أن الجنديين كانا في الأراضي اللبنانية، ملقياً بالمسؤولية على حكومتي الجمهورية العربية السورية وجمهورية إيران الإسلامية، وكذلك على الحكومة اللبنانية لعدم تحركها، وتذرع بأن إسرائيل تحتفظ بالحق في التصرف في ما زعمت أنه دفاع عن النفس بموجب المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة. مجلس الأمن لم يحرّك ساكناً وكانه كان الضّوء الأخضر للاحتلال لمباشرة همجيّته ضد لبنان .

واستمرّ مجلس الأمن بمشاهدة المجازر عبر النشرات الإخبارية إلى أن اختار الاحتلال وقف إطلاق النار لعدم تمكّنه من الاستمرار، حينذاك اصدر مجلس الأمن القرار 1701/2006 الذي اتخذه في جلسته رقم 5511 المعقودة في 11 آب 2006 والذي تضمّن 17 فقرة، وكان القرار يحمل في مقدمته عبارة "هجوم حزب الله على إسرائيل في 12 تموز/ يوليو 2006) لتبرير أفعال الاحتلال التالية لاختطاف الجنديين. وحين أورد عبارة إلحاق أضرار جسيمة بالهياكل الأساسية المدنية وتشريد مئات الآلاف في الداخل لم يقل القرار من هي الجهة التي قامت بقصف البنية التحتية للدولة اللبنانية، رغبة في عدم إدانة الاحتلال.

حتى أن القرار يتضمّن في فقرته الثامنة وجوب تزويد الأمم المتحدة بجميع الخرائط المتبقية للألغام الأرضية التي زرعها الاحتلال في لبنان والموجودة، إلا أنه لم يقم بتنفيذ هذا الموجب رغم مطالبات لبنان المتكررة ورغم وقوع مئات الضحايا بسبب الألغام الإسرائيلية.

في كل مرة يتخذ مجلس الأمن قراراً يختمه بعبارة: "يقرر أن يبقي المسألة قيد نظره الفعلي". ومنذ ذلك الحين لا تزال حقوق الفلسطينيين واللبنانيين قيد نظر مجلس الأمن.

كلية الحقوق في اليسوعيّة
غزة مقبرة القانون الدولي

أحمد مدلج

«لا يمكن، ككلية حقوق، ألا نهتم بما يجري في غزة»، تقول عميدة كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة القديس يوسف وزيرة العدل السابقة ماري كلود نجم، لأن «القانون الدولي هنا على المحك». وفي هذا السياق، نظّمت الكلية، الثلاثاء الماضي، ندوة حول حرب غزة وواقع القوانين الدولية والمؤسسات الأممية، تحت عنوان «غزة: القانون الدولي على المحك».

ولفتت نجم إلى أن بعض المدعوين إلى الندوة ردّوا بعد إرسال الدعوات إليهم: «عن أي قانون تتحدثون؟»، ما زاد حماستها لتنظيم الندوة، «من أجل إعادة التذكير بأن القانون الدولي الإنساني الذي يُضرب بعرض الحائط ليس وجهة نظر». أرادت نجم أن تركّز الندوة، بشكل أساسي، على شقّ القانون الدولي نظراً الى الانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان والقواعد والمعايير الدولية المتعارف عليها، إذ أن «غزة أصبحت مقبرة للقانون الدولي ولكل المعايير التي تتغنّى الدول الغربية. والعودة الى القانون الدولي ومعاييره الأساسية ضرورة لأي حل عقلاني»، لافتة إلى أن قضية فلسطين لم تبدأ في 7 تشرين الأول 2023، بل بفرض الاحتلال وممارسة العنصرية وتهويد الضفة الغربية.

الفكرة الأساسية التي أرادت نجم ايصالها، عبر الندوة، هي أن «تعريف الصراع، بحسب السردية الإسرائيلية، كصراع ديني وثقافي امر خاطئ ومضلل. فالصراع هو بين دولة محتلة ونظام فصل عنصري واستيطاني وبين شعب يتعرّض للقمع». ولفتت إلى أن وعي الشعوب بما يجري في فلسطين بدأ بالبروز حتى في بعض الدول الغربية، و«نشهد اليوم عودة الاهتمام الدولي بقضية فلسطين باعتبارها قضية حقوقية أساسية ومركزية».

دولة فلسطين وحقها بالدفاع عن نفسها

أستاذ القانون الدولي العام في جامعة إيكس مرسيليا البروفسور الفرنسي رومان لوبوف تحدث في الندوة عن الوضع القانوني للقطاع وارتباطه بدولة فلسطين، لافتاً إلى أن بعض وسائل الإعلام الأوروبية تتحدث عن غزة كمنطقة مستقلة، بعدما فصلتها عن الضفة الغربية بطريقة منهجية، لتفكيك فكرة وحدة الأراضي الفلسطينية. ويؤكد لوبوف أن قطاع غزة يشكل حتماً جزءاً من الأراضي الفلسطينية غير القابلة للتقسيم، وهو ما يكفله القانون الدولي وقرار الجمعية العامة 25-26 الذي يحظر أي اعتداء على وحدة الشعب، مشدداً على أن التمييز بين المناطق الفلسطينية في الخطاب الإعلامي والدبلوماسي ليس له أي أساس قانوني. واعتبر أن المشكلة ليست بين إسرائيل وغزة، بل بين إسرائيل وفلسطين.

وأثار لوبوف سؤال: «هل فلسطين دولة مستقلة؟»، ليجيب بأن فلسطين أرض محتلة، وهذا أمر تعترف به كل المؤسسات الدولية، وكل الدول، وحتى محكمة العدل الدولية، لافتاً إلى أن إضفاء صفة الدولة على فلسطين يؤدي تلقائياً إلى اعتبار إسرائيل قوة محتلة، ويعني حق فلسطين في ممارسة سيادتها كاملة. وأوضح أن القانون الدولي يوفر عناصر موضوعية لتقييم الطابع الحكومي لأي كيان، عبر سلسلة معايير وضعتها اتفاقية مونتفيديو لعام 1933، ومنها أن الدولة يفترض أن يكون لها أرض وشعب وحكومة تمارس سيادتها. فهل تستوفي فلسطين هذه المعايير من وجهة نظر القانون الدولي؟ يجيب لوبوف أن «نادراً ما كانت هناك حالة إبادة جماعية أكثر وضوحاً مما يجري في فلسطين». إذ أن «أفعال إسرائيل موثقة وواضحة وتشكل ركناً من أركان الجريمة، وهي تفرض حصاراً على قطاع غزة منذ عام 2005، وتقيّد بشكل متعمد تدفق الغذاء والمياه والدواء ومواد البناء». واعرب عن دهشته من قاحة الجناة الإسرائيليين في أفعالهم المتعمدة لفرض عقاب جماعي غير قانوني على السكان المدنيين. ولفت إلى أنه «نادراً ما نرى مثل هذه الحالة الواضحة المنصوص عنها في المادة 2-ج من اتفاقية الإبادة الجماعية».

> **مخيبر: نادراً ما كانت هناك حالة إبادة جماعية أكثر وضوحاً مما يجري في فلسطين وأميركا وبريطانيا متواطئتان في الإبادة الجماعية**

وقال مخيبر إن «مناخ الإفلات من العقاب الذي عملت إسرائيل في ظله لعقود من الزمن في ظل حكم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة

الولايات المتحدة مسؤولة ايضا

الرئيس السابق لمكتب نيويورك للمفوضية السامية لحقوق الانسان في الامم المتحدة، المحامي كريغ مخيبر، نوّه في كلمته بأن «الرعب الذي نشهده في غزة والضفة الغربية يمثل لحظة مفصلية للإنسانية وللقانون الدولي، لأن كيفية استجابة المجتمع الدولي ستحدد ما إذا كان هذا القانون الذي نشأ منذ الحرب العالمية الثانية سيبقى أم سينهار». وأضاف أن «ما نشهده في فلسطين بدأ قبل 75 عاماً، وهذه جريمة إسرائيلية طويلة الأمد، بالتعاون والتواطؤ من جميع الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ومعظم الدول الأوروبية». وشدّد على أن «جريمة الإبادة الجماعية هي الجريمة الدولية الكبرى»، لافتاً إلى أنه قبل مغادرته منصبه في الأمم المتحدة، الشهر الماضي، حذر من أن ما يحصل في فلسطين «إبادة جماعية نموذجية. لكن استجابة الأمم المتحدة كانت ضعيفة بسبب الخوف المتجذر من الدول الغربية القوية». وشدّد على أنه «نادراً ما كانت هناك حالة إبادة جماعية أكثر وضوحاً مما يجري في فلسطين». إذ أن «أفعال إسرائيل موثقة وواضحة وتشكل ركناً من أركان الجريمة، وهي تفرض حصاراً على قطاع غزة منذ عام 2005، وتقيّد بشكل متعمد تدفق الغذاء والمياه والدواء ومواد البناء». واعرب عن دهشته من قاحة الجناة الإسرائيليين في أفعالهم المتعمدة لفرض عقاب جماعي غير قانوني على السكان المدنيين. ولفت إلى أنه «نادراً ما نرى مثل هذه الحالة الواضحة المنصوص عنها في المادة 2-ج من اتفاقية الإبادة الجماعية».

وقال مخيبر إن «مناخ الإفلات من العقاب الذي عملت إسرائيل في ظله لعقود من الزمن في ظل حكم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والدبلوماسيين الأوروبيين، أدى إلى واقع لا شبيه له في التاريخ». وأوضح أن «أصعب عنصر يمكن إثباته في حالة الإبادة الجماعية هو النية، ولكن في حالة الحرب على غزة، تحدث القادة الإسرائيليون علناً عن نواياهم للإبادة الجماعية»، لافتاً إلى أن اتفاقية الإبادة الجماعية لا تجرّم أفعال الإبادة الجماعية فحسب، بل تجرم أيضاً بموجب المادة 3 التواطؤ في الإبادة، «وفي هذه الحالة، رأينا حكومة الولايات المتحدة، على سبيل المثال، لا تفشل فقط في التزامها القانوني بمنع الجريمة، بل تقدّم دعماً استخباراتياً وعسكرياً واقتصادياً لإسرائيل أثناء انخراطها في أعمالها غير القانونية في غزة. وهنا أيضاً يفترض أن تكون هناك مساءلة قانونية وملاحقة».

وأضاف أن «إسرائيل ليست وحدها المسؤولة عن التعويض، إذ شاركت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بدعم هجومها، ما يجعلهما متواطئتين. والتعويض يشمل من شاركوا في حرب غزة بما في ذلك الدول الغربية».

ورداً على سؤال إحدى الطالبات حول الأسباب التي تمنع الأمم المتحدة من القيام بدورها في محاسبة العدو الإسرائيلي لارتكابه جرائم إبادة، لفت مخيبر إلى أنه غادر الأمم المتحدة بعد 32 عاماً ببيان شديد الانتقاد بسبب إحباطه في هذا الشأن. وأضاف: «الحديث عن الأمم المتحدة باعتبارها أداة أمر خاطئ؛ إذ أنها منظمة معقّدة للغاية. والأمم المتحدة تخلت عن الشعب الفلسطيني بسبب الخوف من الدول الغربية القوية، ما يجعلها عاجزة عن معالجة المشاكل الحقيقية المتمثلة في الاستعمار الاستيطاني والاضطهاد. وإلى أن تتم معالجة هذه الأسباب الجذرية، لن يكون هناك احترام للقانون الدولي، ولن تكون هناك حقوق إنسان للفلسطينيين».

(أ ف ب)

ملاحظات اولية بشان جرائم العدو على لبنان في الايام الـ 46 الاولى

محاولات إسرائيلية لترهيب الجنوبيين

إرهاب المدنيين واستهدافهم بشكل مباشر

– 14 تشرين الأول: استهداف مباشر لمنزل في بلدة شبعا ادى الى استشهاد مسنّ وزوجته من آل هاشم.
– 30 تشرين الأول: استهداف منزل مدني في الحي الجنوبي لبلدة ميس الجبل بقذيفتي دبابة من موقع «العاصي».
– 3 تشرين الثاني: تم العثور على جثماني الشابين ربيع الاحمد (20 عاما) وامجد المحمد (22 عاما) من بلدة الوزاني بعدما استهدفهما العدو بالرصاص اثناء رعيهما الماشية قرب نهر الوزاني.
– 5 تشرين الثاني: استهداف سيارة مدنية ما ادى الى استشهاد سيدة وحفيدتها الثلاث، إضافة الى إصابة 3 اشخاص آخرين. إثر الضربة، اعلن جيش العدو الإسرائيلي انه قصف «اهدافا» لحزب الله في جنوب لبنان، بينها «مركبات».
– 20 تشرين الثاني: استهداف كنيسة مار جرجس في بلدة بارون قضاء بنت جبيل ما الحق اضرارا كبيرة بها.
– 20 تشرين الثاني: استهداف منزل مدني في بلدة ميس الجبل.
– 21 تشرين الثاني: قصف منزلين مدنيين في بلدة كفركلا .
– 21 تشرين الثاني: مسيرة اسرائيلية تقصف بصاروخ سيارة مدنية في بلدة الضعيتية.

قتل صحافيين بشكل متعمّد

– 13 تشرين الأول: استشهد المصور الصحافي في وكالة «رويترز» الزميل عصام عبدالله واصيب ستة آخرون من الوكالة ذاتها ووكالة الأنباء الفرنسية وقناة الجزيرة القطرية بعد تعرضهم للقصف في محيط بلدة علما الشعب.
– 19 تشرين الأول: حاصر العدو الإسرائيلي وسط اطلاق نار كثيف 9 مدنيين من بينهم 6 صحفيين قرب موقع العباد «الإسرائيلي» في محيط بلدة حولا.
– 13 تشرين الثاني: استهدف جيش العدو الإسرائيلي فرقا إعلامية في بلدة بارون بعدد من القذائف الصاروخية، ما اسفر عن إصابة مصور في قناة «الجزيرة» وتضرر عربة البث.
– 21 تشرين الثاني: استهداف نقطة تجمع للصحفيين في محيط بلدة طير حرفا في جنوب لبنان، ادى إلى استشهاد الصحافية فرح عمر والمصور ربيع المعماري وشخص مدني.

استهداف الاسعافات

– 5 تشرين الثاني: استهداف سيارتين تابعتين لجمعية الرسالة للاسعاف الصحي ما ادى الى اصابة اربعة مسعفين بجروح.
– 9 تشرين الثاني: استهدفت قذيفة اطلقها جيش الاحتلال سيارة إسعاف في بلدة باطر اثناء محاولتها الاقتراب من موقع قصفته غارات العدو.

اعتداء بالفوسفور الابيض والقنابل الانشطارية

اكثر من 13 هجوما بالفوسفور
استهداف 27 منطقة من بلدات في جنوب لبنان:
القصف بالقذائف الفوسفورية طال:
اطراف علما الشعب 13 ت1
بلدة الضهيرة 16 ت1
وادي شبعا 30 ت1
خرج بلدة بارون 31 ت1
اطراف بلدتي بليدا وعيترون 1 ت2
اطراف بلدتي بليدا وعيترون 2 ت2
اطراف بلدة مركبا 3 ت2
اطراف بلدتي حلتا وكفرشوبا 9 ت2
مرج كفركلا واطراف بلدتي برج الملوك والخيام وسهل مرجعيون ومنطقة الحمامص وابل القمح 10 ت2
اطراف بليدا وميس الجبل 13 ت2
احراج الحدب غرب عيتا الشعب 13 ت2
اطراف حولا ومركبا ورب ثلاثين ووادي هونين والعديسة 17 ت2
محيط بلدتي ميس الجبل وحولا 17 ت2
محيط بلدة ميس الجبل 21 ت2

العدو الإسرائيلي: سنحوّل لبنان الى غزة!

– 11 تشرين الثاني: قال وزير دفاع العدو، يوآف غالانت، إن «الأمر بسكان بيروت قد ينتهي الى وضع غزة نفسه، حيث بدأوا بالفعل يرفعون الرايات البيضاء ويهربون من منازلهم». واضاف: «طيارونا يجلسون في قمرة القيادة، وأنوف الطائرات تتجه نحو الشمال. لدينا ما يكفي للقيام بكل ما نحتاجه في الجنوب، لكن القوة الجوية تتجه نحو الشمال وقوتها كبيرة جداً. لقد فعلنا ذلك، ولم نستخدم حتى 10% من قوة سلاح الجو في غزة».

القوس

■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني: رامي عليّان

alqaous alqaous22 alqaous www.alqaous.com info@alqaous.com 01/34 99 54